التشابـــه في الطقوس الدينية

بين

شعـــوب الشرق الأدنى القديم واليهـــود

إعـــداد

د ./ صفـــاء محمد حسن أبـــو شادي

قسم اللغات الشرقية / عبـــري ــ كلية الآداب بقنـــا

جامعـــةجنـــوبالـــــوادي

٢٠٠٣م

مقدمة

يشمل البحث أربعة محاور رئيسية يخص كل محور شعب من شعوب الشرق الأدنى القديم وهم :

١- مصر .
٢- أرض الرافدين .
٣- كنعان .
٤- العبرانيون (اليهود) .

وعند تناول كل شعب من تلك الشعوب وعقيدته وآلهته يبدو التشابه الواضح بين آلهتهم حتى في بعض أسماء تلك الآلهة وكذلك في الطقوس الدينية التي تقام في احتفالاتهم في مناسبات مختلفة وطريقة ممارسة هذه الطقوس ، ورغم اختلاف عقيدة اليهود عن غيرها حيث تقوم على فلسفة خاصة أساسها فكرة عهد بين الرب و جماعته و التي تعتبر بداية التراث الديني اليهودي ، إلا أنهم بعد دخولهم إلى كنعان عبدوا آلهة الكنعانيين حين جمع أغلب اليهود بين يهوه في عبادتهم وبعلّيم إله المرتفعات عند الكنعانيين مما يؤكد التأثر الواضح بالآلهة الوثنية ، و الإنغماس في التعددية بدلاً من عبادة الإله الواحد الذي يحرصون على خصوصيته بعصبية شديدة ، فهو إله خاص بهم دون سواهم وفقاً لما ورد بنصوص شريعتهم ، ينصرهم ظالمين أو مظلومين ويدافع عنهم ويظلهم بحمايته ، ورغم ذلك أشركوا به وعبدوا آلهة أخرى وثنية .

وموضوع البحث تحت عنوان التشابه في الطقوس الدينية بين شعوب الشرق الأدنى القديمة و اليهود .

التشابه في الطقوس الدينية
بين شعوب الشرق الأدنى القديم و اليهود

١ – في مصر القديمة :

كانت الدولة وطائفة الكهنة هي المسئولة وحدها عن الدين في البلاد ، فالملك هو الذى يبني المعابد ويقدم لها الهدايا ، والملك هو الذى يمنح القرابين الكثيرة ، كما أن الملك هو الذى تمثله جميع صور المعبد وهو الذى كانت تقام له الصلوات في المعبد ، وقد اختلفت العلاقة بين الملك والآلهة عن علاقتهم بأي فرد من أفراد الرعية ، فقد كان الملك علي مصر قديماً يمثل ابنا وخليفة للآلهة يقدم لهم القرابين كأسلاف له ، كما يقدم أى فرد عادى قرابينه لأرواح أجداده ، وكان الكاهن يقوم بطقوس يومية لخدمة الإله ، فكان الإله كالبشر يساعده خدمه في ملبسه وينظفون له مسكنه ، فكانت دائماً أردية جديدة وأصباغ توضع على تمثال الإلهة و يملأ هيكله المقدس بالطيب[1] وطريقة العبادة وأهدافها واحدة دائماً في كل مكان بمصر القديمة ، ففي جميع الطقوس كان يبدأ الكاهن بتلاوة صيغة معينة في بداية كل احتفال مستقل ، أما عن مكان أو مقام الصورة الإلهية المعتاد فكان الناووس الكائن في أقدس مكان في نهاية المعبد ، وكثيراً ما نحت من حجر واحد من الجرانيت الصلب محيطاً بالصورة المقدسة وكأنه حائط لا يسهل اختراقه فكان يقفل من الأمام بواسطة باب ذي مصراعين مثبتين في إطار من البرونز ، وهو المكان الذي يقوم فيه هذا المحراب المتوقام فيه الطقوس اليومية [2]، وفي الاحتفالات يتقدم الكاهن المحتفل عند انبثاق الفجر نحو قدس الأقداس و يبخره حتى يمتلئ من عطر البخور ، ثم يقترب من المحراب و يفتحه ويحيي الإله بالركوع ، ثم يقوم بتلاوة بعض الأناشيد بعد الصلاة ، فكانت الطقوس تقتضي بمجرد أن يرى الكاهن تمثال الإله عليه أن يقبل الأرض وينطرح على بطنه ثم ينطرح مرة أخرى على بطنه ويقبل الأرض بوجه يتجه إلى أسفل ويطلق البخور ثم يحيي الإله بأنشودة قصيرة ثم يبدأ بحرق البخور في قاعة الأعمدة ويقول : " لقد صعدت إليك .. ، وطهوري فوق يدي ، وقد حضرت لأعمل ما يجب على المرء عمله ، ولم أحضر لأعمل ما لا ينبغي عمله .... " ، ثم يتقدم إلى مقصورة الإله "ليحل رباطها " بقوله :" سيُرخى الرباط ويُحل المقبض حتى يجتاز الباب .

لقد طرحت أرضاً كل الشرور التي عليَّ " ، وبعد أن ينفتح الباب يبدأ بتبخير حية الأوريوس المقدسة بالطيب وهي التي تحمي الإله و يحييها بجميع أسمائها ثم يدخل قدس الأقداس ويقول : " سيزدان عرشك وتعلو حصيرتك " (أي توضع على العرش) وتسمو أرديتك ويقف عظماء أهة السماء أمامك الذين يأتون من السماء ويترلون من الأفق ليسمعوا صوتك ..." ثم يقترب من المقعد الكبير " أي من ذلك الجزء من المقصورة الذي يقوم فيه تمثال الإله ويقول: " سلام على الإله ، سلام على الإله ، الروح الحية التي تقهر أعداءها . إن روحك معك وعصاك إلى جانبك .. ثم يبدأ بإلباس الإله الرداء المسمى (نمس) بعد أن يترع أرديته ويرفع الأصباغ القديمة ، ثم يبدأ بتزيينه بالأصباغ مجدداً ويزوده بشاراته . الصولجان وعصا الحكم و السوط و الأساور و الخلاخيل و الريشتين فوق رأسه ثم يزوده الكاهن بقلادة وتميمة وشريطين أحمرين وآخرين أخضرين واثنين أبيضين ثم ينصرف من الهيكل ، وعندما يغلق الباب يقول الكاهن أربع مرات عدة كلمات تعبر عن إحكام إغلاق الباب ولا يستطيع شرير أو شريرة أن يدخل هذا المعبد .

وكان الكاهن يقترب وهو مطهر ، فقبل دخوله المعبد كان يطهر نفسه في البحيرة المقدسة (الملحقة بالمعبد) وعند وصوله للمعبد فإنه يشعل النار أولاً ثم يملأ مبخرة بالبخور ، وكان الشيء الوحيد الذي يطلب من كل كاهن الملابس الكهنوتية الخاصة التي تسترعي النظر ، وكذلك كل من يقترب من الأشياء المقدسة هي الطهارة ، وكان الكاهن لا يغتسل فحسب بل إلا يلمس كذلك امرأة *، بل لا يجب عليه أن يأكل لحم الماشية أو السمك ، وأول شيء يقدمه الكاهن للإله العسل ، ثم يحرق المزيد من البخور ، بينما يدور أربع دورات حول التمثال ، ثم في النهاية يأخذ تمثال الإله عن مقصورته ويترع الملابس القديمة عنه ثم يمسحه بالزيت المقدس ، ويبدأ تزيينه ثم يبخره ثانية و يرشه بالماء من أواني خاصة ، وبعد تكرار التبخير يطهر فم التمثال بثلاثة أنواع مختلفة من ملح النترون ثم يضع عليه غطاء الرأس و الملابس بألوانها المختلفة ، ويطهره بعد أن يستبدل الجواهر التي عليه بغيرها ، ويعيد طلاء رموش عينيه بمادة خضراء أو سوداء اللون ، وبعد ذلك يضع للإله رموزه الملكية ، ثم يضع الكاهن الإله في مقصورته ، ويطهر المذبح حيث يأتي بالوجبة المقدسة فيضع الطعام والشراب أمامه ، ويرفع كل لون من ألوان الطعام مقدماً كل منها

* ويتماثل ذلك مع اليهودية بخصوص الكاهن اليهودي وسيأتي الحديث عنه في الجزء الخاص بالطقوس اليهودية بالبحث

على التوالي وتنتهي الوليمة فيغلق باب المقصورة ، ويطهر الغرفة مزيلاً آثار أقدامه بعناية خاصة ثم يغادرها وفي كل مرحلة من مراحل الخدمة الصباحية اليومية يرتل الكاهن صيغ أو كلمات مناسبة [٣].

كما كان الملك يجرى التطهر قبل الخدمة ككاهن أعلى للإله على نفس المنوال وقد كان الملك يرش بالماء من البحيرة المقدسة بواسطة كاهنين يضعان أقنعة الإلهين " حورس وتحوت " أو " حورس وست " أحياناً فيتقمصان شخصية هذين الإلهين خلال الطقس ومراسم التطهر يصحبها ترتيل كلمات وصيغ مناسبة لتغمر الملك بالحياة و الخط الطيب وتجدد شبابه ، وبعد التطهير بالماء يبخر الملك بالبخور وتقدم له أربع كرات من النترون لمضغها ثم يرتدي الملك الملابس بعد أن يدهن ويزود بأدوات الزينة وعلامات السلطة الملكية عندئذ يصبح مستعداً لدخول المعبد وتقديم الخدمة ككاهن للإله وفقاً للخدمة الدينية اليومية التى تم وصفها من قبل ، وتؤدى مراسم التطهر التي يؤديها الملك الحي أيضاً على جسد الملك ، بل على أجساد كل الموتى لجعلهم أتقياء مثل إله الشمس " أوزيريس " الذى أجرت عليه آلهة معينة عقب وفاته مراسم التطهير بالمثل ، وهذا التطهر يمكن القيام به فقط قبل دفن الميت (أي خلال عملية التحنيط) وعندما يصبح من المستحيل الاقتراب من جسد الملك بعد الدفن وهو يرقد في غرفة الدفن في قاع بئر المقبرة فإن مراسم التطهر استبدلت بسكب الماء * قرباناً في هيكل معبد الهرم أو المعبد الجنائزي ، فكان البديل و الشبيه بالجسد المحفوظ هو التمثال ، ففي وجوده يُسكب الماء ويقدم قربان الطعام و الشراب ، وقد سبق توضيح إقامة طقوس الخدمة المقدسة في المعبد التى تؤدي أمام تمثاله الصورة المرئية و الملموسة للإله [٤] .

التقدمات :

كانت التقدمات دائماً مستمرة طوال العام منها اليومية التى كانت بالطبع أقل أهمية من تقدمات أيام الأعياد ، وتعتبر التقدمات التى كان يستفيد منها الكهنة بصفة دائمة بمثابة مرتب لهم ، وعلى ذلك فلم يكن همهم الوحيد تموين الإله بالأطعمة

* وتتشابه هذه الشعيرة وشعيرة سكب الماء التي تعتبر من الطقوس الدينية الأساسية التي يتبعها اليهود في صلوات عيد المظال وسنتحدث عنها في حينها فيما بعد .

هو الذي يدفعهم إلى تقبل العطايا الملكية في سرور ، وإنما كان طعامهم الشخصي هو هدفهم الأسمى ، وهم يمدحون الملك لأنه يملأ المذابح أطعمة ويجعل موائد القرابين زاخرة ويكثر من التقدمات فإذا كان الأفراد وبخاصة في الدولة الحديثة (١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق . م)[٥] ما زالوا يقدمون القرابين فإنما كانت تافهة إذا ما قورنت بالأوقاف العظيمة التي كان يرصدها الملوك لهذا الغرض ، وكانت أنواع القرابين التي يقدمها الأفراد كثيرة ومتعددة مثل العسل و الزهور و البخور و الخبز و اللحوم و الكعك ، و الجعة إلى جانب ما يخصص لإعالة الكهنة وخدمة المعبد [٦].

ورغم أن التقدمات اليومية أقل أهمية من تقدمات أيام الأعياد ، إلا أنها كانت دائماً ومستمرة طوال العام فإنها كانت تحوى كمية ضخمة من الخبز واللحم ، ولكن بعد أن يشبع الإله وفقاً لاعتقادهم ، فلمن تصير تلك الأطعمة ، فمن الطبيعي أن الكهنة كانوا يتناولون هذه الأطعمة ، وإن كل ما كان يؤتى به إلى الإله كان يعتبر بالنسبة لهم دخلاً وكذلك كل ما يمتلكه الإله من أملاك ثابتة كان يطلق على اسم (التقدمة الإلهية) وكان الكهنة يتمتعون بثمارها ، ونستطيع اعتبار هذه التقدمات التى كان يستفيد منها الكهنة بصفة دائمة بمثابة مرتب لهم ، وعلى ذلك فلم يكن همهم الوحيد تموين الإله بالأطعمة هو الذي يدفعهم إلى تقبل العطايا الملكية في سرور كما سبق ذكره ، وإنما كان طعامهم الشخصي هو هدفهم الأسمى ، فكانوا يمدحون الملك لأنه يملأ المذابح أطعمة ويجعل موائد القرابين زاخرة ويكثر من التقدمات [٧].

والقرابين من الحيوانات كانت من الثيران و العجول الطاهرة [٨] و لا يباح لهم أن ينحروا الأبقار لأنها مقدسة لإيزيس ، فتقديس البقر في مصر الفرعونية معروف منذ أقدم العصور والشواهد على ذلك معروفة منذ فجر التاريخ ، تلك حقيقة لا ريب فيها إذ لم يكن المصريون يأكلون لحم الإناث من البقر لأنها كانت لديهم من الحيوانات المقدسة وذلك تكريما لمعبودتهم (إيزيس حتحور) [٩].

كما كانت الغزلان من قرابين الحيوانات التى تقدم إلى جانب الطيور و الأوز والخبز و الفطائر ، ولا تخلو موائد القربان من أنواع الشراب من الجعة و الأنبذه (النبيذ) وأنواع أخرى من القرابين كالفاكهة و الزهور و البخور وعسل النحل [١٠].

ويقيم المصريون أعظم الأعياد للآلهة العظمى ، وقبل تقديم الضحية يصومون ، وعندما ينتهون من صلاتهم يسلخون الثور ، يخرجون المعدة بينما يتركون الحوايا و الدهن داخل الجسم ثم يقطعون الأرجل ولهاية العجز والأكتاف والرقبة وبعد ذلك ، يملأون بقية جسم الثور خبزاً طيباً نقياً وعسلاً وزبيباً و تيناً وبخوراً ومُرّاً وغيرها من الطيب ثم يسكبون عليه زيتاً وفيراً ثم يحرقونه وأثناء احتراق الضحايا يلطمون كلهم ، وعندما ينتهون من اللطم يوضع أمامهم طعام مما تبقى من الذبائح ، ويلطم المحتفلون الخدود في ذكرى مصرع " أزوريس " (رب الخلود) على يد أخيه الغادر " ست " ويرمزون بذلك إلى دخول الشتاء ، كما يفرحون ببعثه في استقبال ربيع الحياة بين يدي فيضان النهر (النيل) ويبدو ذلك في احتفال بوبسطة (تل بسطة حالياً) بالقرب من الزقازيق وهذا الاحتفال يمثل اللحظة السعيدة التي عاد فيها أزوريس إلى الحياة ثانية ووقفت سلسلة ظهره (التي يمثلها عمود الـ (د د) في اللاهوت المصري المتأخر) على أن الطقوس الباقية تشير إلى قيام أربعة كهنة رافعين قبضاتهم يهجمون على أربعة كهنة آخرين يبدو أنهم يتراجعون إلى الوراء على حين يتضارب اثنان يقول أحدهما : " إني أقبض على حوريس المتألق في الحق " يتبع ذلك منظر ضرب كبير يشترك فيه خمسة عشر شخصاً يضرب بعضهم ضرباً قاسياً بعضهم وقبضاتهم ، وفي نهاية الطقوس المقدسة تساق أربعة قطعان من الثيران والحمير وتلف حول المدينة ، فتدور أربع مرات حول الجدران الذي يقام فيه العمود الخليل الذى كانت تلف الحبال حوله ثم يشده الملك إلى أعلى بمعونة الأقارب وأحد الكهنة على حين يُعد أربعة كهنة موائد القربان ليضعوها أمام العمود الذي يكون حينئذ قد تمت إقامته حيث يمثل فرحة بعث " أزوريس " للحياة مرة أخرى [11].

ويختلف جمهور الحاضرين في الاحتفال ممن يستهلكون القرابين بحسب الاحتفال إذا كان خاصاً أو عاماً كذلك الاختلاف في نوع الطعام فإن كان الحاضرون من الطبقات العالية فتكون الحاجة ماسة إلى شواء اللحم وتقديم الكعك أما إذا كانت الكثرة من الطبقات الدنيا فيكتفى حينئذ بالخبز [12].

وقد كانت الأضاحي كفّارة ، وكانت طريقتهم في تقديم الضحية هي وضع الحيوان الموسوم (كما أوضحنا) أى الضحية فوق المذبح ويسكبون عليها خمراً ثم يبخرونها مبتهلين إلى الإله ، وبعد ذبحها يقطعون رأسها ويسلخون جسمها ثم يمطرون على الرأس

وافر اللعنات ، وإذا كانت لهم سوق ويقيم عندهم تجار يونانيون ، فإنهم يحملون الرأس إلى هناك ويبيعونها ، أما الذين لا يوجد بينهم يونانيون فإنهم يلقون بها في النهر ، أما عن اللعنات التي يتلونها على رءوس الضحايا فمدلولها ، " إن كان هناك خطب سيحل بالمضحين أنفسهم أو بمصر كلها ، " فليترل على هذا الرأس " * وجميع المصريين يراعون هذه الشعائر فيما يتعلق برءوس الحيوانات المضحى بها ورشها بالنبيذ و يتبعونها عند تقديم كافة الضحايا ، ووفقاً لهذه السنة لا يذوق أحد من المصريين مطلقاً رأس أي كائن حي [١٣]. وقد ماريس أصل الرافضين هذا الطقس فقدموا الحمل بدلاً من الإنسان فداءً للمنفسين بنون التخلص عنه *

وقدّس المصريون الكباش أيضاً منذ أقدم عصور التاريخ لأنها جاءتهم وافدة مع النيل من قلب إفريقية ، فربطوا بينها وبين النيل وهو لديهم مصدر الخصب و الحياه وقد تخيل المصريون الكبش حارساً على منابع النيل التقليدية عند شلاله الأول جنوبي أسوان ، وزادوا على ذلك فعَدوه بارئاً للبشر ، يصورهم من صلصال كالفخار ، لذلك حرّم المصريين التضحية بالأغنام ويضحون بالماعز وخاصة في ولاية طيبة حيث كان معبودهم الكبير " آمون " في طيبة الذي أطلقوا عليه " زيوس الطيبي " ورغم تقديس أهل طيبة بالكباش فلم يضحوا بها إلا أنهم في يوم من أيام السنة وهو يوم الاحتفال بعيد "زيوس" يذبحون كبشاً واحداً ويسلخونه ويغطون بجلده " تمثال زيوس" ثم يحضرون بعدئذ بالقرب منه تمثالاً آخر لهيراكليس ، وبعدها يلطم كل من يحيطون بالمعبد حزناً على الكبش ، ثم يدفنونه في قبر مقدس ، ويعتقد هيردوت أنه ليس من المستبعد أن يكون المصريون قد عَدُّوا هذه الضحية كفارة يقدمونها بين يدي " آمون " على أنه رب الشمس (رمز الشمس) حيث كان في عقيدتهم يمثل الشمس ، وكانوا يقومون بتلك الطقوس في فصل الربيع عندما تكون الشمس في برج الحمل [١٤].

وقد تميز المصريون القدماء عن غيرهم بكثير من العادات ، ومنها الختان الذين كانوا أول من سَنه ، وكان ذلك حقاً بقصد النظافة والطهارة ، ومنها كذلك نفورهم من الخنازير ، وهذا يرجع إلى علاقة ما ورد من أن ست " أخو أزوريس " وهو في هيئة " خنزير أسود " قد جرح حورس ، كما أنهم لا يأكلون من لحم ثور طاهر

---

* وتتشابه هذه الشعيرة مع شعيرة اليهود في تقديم ذبيحة الخطيئة تكفيراً عن خطيئة الفرد أو الجماعة وقربان الخطيئة هذا له أهمية عظيمة في ديانة اليهود وسيتم الحديث عنه في الجزء الخاص بذلك.

* د. ريد بورنز ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة ترجم كمال ، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ، ١٩٩٧ ، ص ١٦٤ .

قطع بسكين إغريقي ، وقد تميز الكهنة عند الشعب بشدة رعايتهم لتلك العادات ، وكانوا يرثون وظائفهم عن آبائهم ، وكان حتماً عليهم الاغتسال مرتين ليلاً ومرتين نهاراً وأن يحلقوا رءوسهم كل يوم وأجسادهم كل يوم ثالث ، وطبقاً لعادة قديمة يتخذون نعالهم من البردي و ثيابهم من الكتان ، لأن الثياب الصوفية تمقتها الآلهة وألاّ يلمسون كذلك امرأة[١٥] .

وفي الجزع من رءوس الأضاحي من الحيوان ما هو غريب عن العادات المصرية القديمة ، فقد كان رأس الثور الصغير وفخذه بالذات القطعتين اللتين كانتا توضعان على سائر موائد القربان في العهد القديم مما يرجع إلى التأثير الأجنبي ، كما في حرق القربان أيضاً ، حيث كان أمراً استثنائياً محضاً في مصر من قبل ، ثم أصبح طقساً عادياً ، ويؤيد هذا أيضاً أن حرق القربان كان يتخذ في اللغة المتأخرة اسماً مشتقاً من كنعان وهو " جليل " لأن القرابين المحروقة لم يستعملها المصريون في طقوسهم في العصور القديمة ، و لا تترك التقدمة تحرق حتى تختفي في النار إلا عندما تقدم إلى إله بعيد لا يمكن أن تبسط أمامه الأطعمة ، وقد فعل ذلك رجل في الصحراء في ظبي دلّه على الطريق فقد مرّ إلى " مين " كعرفان للجميل ، وكذلك في قصة الملاح الغريق المعروفة الذي قدم قربانه إلى الثعبان بعد عودته ، وقام بحرق القربان لأن الرياح فقط هي التي تستطيع أن تحمل التقدمة بعيداً ، وفي الدولة الحديثة ذكر لأول مرة حرق القربان في بعض الحالات ، وقد أصبح ذلك أمراً عادياً في العهد المتأخر ".

وعلى أية حال فقد كان يقدم اللحم إما نيئاً أو مشوياً ، وفي الحالة الأخيرة كان يقدم للإله مواقد فحم صغيرة . وهذه المواقد كان الغرض منها شي اللحم وليس إحراقه [١٦]. فكان الشواء من الأطعمة المحببة للمصري القديم ، لذلك فقد احتلت القرابين المشوية مكاناً هاماً في قوائم القرابين ، كما أن مناظر التقدمات الملكية أظهرت أن فكرة الشواء كقربان هام حيث صوّر الملك " أمنحتب الثاني " يقدم قرباناً للآلهة ، وظهر وهو يحمل المروحة التي كانت تستخدم لشي اللحم [١٧].

---

* إله الخصب عند المصريين وإله الحصاد .

** أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، صـ ١٩٨ ، ٣٧٦.

وإن كان الملك بشخصه يقوم بمراسم الاحتفالات وتقديم القرابين ، فإن مشاركته في العبادة في كل معابد الدولة ليست إلا شيئاً نظرياً ، غير أن المحتفلين الحقيقيين في مصر كانوا رجال الكهنة حتى وإن لم يذكروا أنفسهم في الطقوس إلا كنائبين عن الملك ، وقد كانت مهنة الكهانة وراثية [١٨]، كما كان لرجال الكهنوت ألقاباً خاصة نذكر شيئاً عن معنى أكثر الألقاب الكهنوتية وروداً .

فأولها الـ " أوعب " أي الكاهن الطاهر ، وكان من اختصاصه في الدولة القديمة التحقق من زكاة حيوانات التضحية المذبوحة ، فلا ينبغي أن توضع قطع اللحم على موائد القربان إلا بعد أن يشم هذا الكاهن دم الذبيحة ، ويعلن أنها زكية " نظيفة " ، ثم هناك وظيفة " خري حب " الهامة " أي (الكاهن المرتل) الذي يتولى تلاوة وترتيل الكتب المقدسة ، وقد اعتقد الناس في مصر القديمة في السحر وقيل أن هناك قوة سحرية خفية في هذه النصوص الدينية القديمة ، لذا اعتقدوا أن الـ " خري حب " ساحراً ، وقد كانت لفظة " كهنة " لفظ أكثر طبقات الكهنة شيوعاً و انتشاراً وهم خدم الإله ، وتعتبر هذه الألقاب الثلاثة مع ما يشابهها مما كان أقل وروداً تستعمل منذ أقدم العصور ، وكان كل رجل ذي مكانة في الدولة القديمة ، يشغل إلى جانب عمله الدنيوي منصباً أو أكثر من المناصب الكهنوتية ، وكانت النساء يتفرغن لخدمة المعبد كما يفعل الرجال ، وكانت بعد وظائف الكهنة وقفاً على شاغليها بحكم وظائفهم في الدولة فالقضاة كانوا عادة كهنة لآلهة العدل ، كما كان الكهنة يحملون ألقاباً تبرزهم كشخصيات ممتازة جداً يمكن أن تكون خارج نطاق رجال الكهنوت العاديين ، فكبير كهنة هليوبوليس مثلاً كان يطلق عليه " الكبير في النظر " ، وكذلك " الذي يرى سر السماء " " ورئيس أسوار السماء " كما لو كان كبيراً للفلكيين ، وقد كانت هناك المغنيات و الموسيقيات اللاتي يؤلفن حريم الإله شأنهن في ذلك شأن المغنيات الجميلات اللآتي يستمتع بغنائهن وموسيقاهن أحد الأمراء الدنيويين ، وكما كان يوجد في الحريم الدنيوي درجات متفاوتة فكذلك كان الأمر هذا الحريم الإلهي ، وكان لبعض نساء الطبقات العالية الحق في حمل لقب " رئيسة حريم " هذا الإله أو ذاك ، كما كانت تقوم على رأس هذا الحريم الإلهي في طيبة زوجة شرعية يطلق عليها "زوجة الإله " أو عابدة الإله " ينتمي الموسيقيات إلى بيتها ، وكانت هذه السيدة عادة هي الملكة نفسها أو إحدى الأميرات تمثل زوجة آمون السماوية

أى الآلهة " موت" (وهي في الأصل الإلهة حتحور كزوجة لإله الشمس " أتوم ، وكانت تتمتع من أجل ذلك بإجلال عظيم خاص ، كما يبدو أنها تلعب أحياناً دوراً سياسياً في شئون الدولة ، وكانت تلك السيدات من واجبهن في الطقوس العامة أثناء الغناء هز السترووم أي الشخشيخة أمام الإله ، كما يشهد بذلك نص على تمثال خشبي بمتحف برلين ، وكان لزوجة الإله أملاك واسعة يديرها كبير المترل [١٩].

وفي الديانة المصرية القديمة ، كانت عملية تكريس الكاهن حيث يسبقها أو يُصاحبها الصوم الذى يتخذ أو يمارس تمهيداً لعبادة أخرى أو يكون عنصراً من عناصر أحد الطقوس ، مثال لذلك الصوم الذي يسبق أو يصاحب تقديم القربان أو الوفاء بالنذر أو إبتاء الزكاة أو الصلاة أو تكريس الكاهن التي تمر عملية تكريسه بمراحل يخضع لها الكاهن سواءاً كان معبده بمصر أو غيرها . ومثال ذلك ، تكريس " لوكيوس " أحد كهنة أيزيس في روما ؛ ففي التكريس الأول فرض على لوكيوس أن يمتنع عشرة أيام عن أكل اللحوم وشرب النبيذ ، وعند تكريس " لوكيوس " للمرة الثانية في روما ، لقنه الكاهن " أمنيوس ماركلوس " واجباته المتعلقة بالمسائل المقدسة ، بعد صيام عشرة أيام أخرى . وعندما اصطفته الآلهة بتكريس ثالث – على حين كان يحصل غيره على التكريس الأول بصعوبة – تطوع لوكيوس فأطال في فترة الصيام رغبة منه لا فرضاً عليه [٢٠] .

كما مارس المصريون القدماء الصوم في أيام الحداد ، حيث كانوا يحيطون الثيران الموفلة برعاية خاصة ، حتى فترات تاريخهم المتأخرة ، في العصر الصاوي – الفارسي ، وبلغت هذه العناية حداً فائقاً في عهد الملوك الإغريق ، وكانت تؤدي للثور الميت شعيرة فتح الفم على نحو ما كان يؤدي للأموات من بني الإنسان . وكانت طقوس الدفن تستغرق سبعين يوماً ، تلبس النساء فيها ملابس الحداد . ويُنادي بصوم في مصر قاطبة [٢١].

كما كان النساء في عيد أوزيريس يتجولن هنا وهناك ، يغنين على المزمار الأغاني عن الإله ، وفي المناحة التي تقام لهذه الإله نفسه في أبو صير كان سائر الشعب يضرب نفسه من وقع ما يشعر به من فجيعة ، وكان الكاريون المقيمون هناك يشتركون كذلك في هذا الاحتفال – على أنهم لم يكونوا يكتفون بضرب أنفسهم ، وإنما كانوا كالهمج يمزقون لحومهم بالمدى [٢٢].

وتعليقاً على رأي إرمان فيما نقلته عنه صـ ٦ بشأن التأثير الأجنبي على المصريين في حرق القربان كما يقول أنه غريب عن العادات المصرية وكذلك في الجزع من رؤوس الأضاحي على أنه تأثير كنعاني على حد قوله أن حرق القربان اتخذ في اللغة المتأخرة اسماً مشتقاً من كنعان وهو " جليل " وإذا قبلنا بهذا فقد ذكر هو أيضا أن في العهد القديم كان رأس الثور الصغير وفخذه بالذات القطعتين اللتين كانتا توضعان على سائر موائد القربان ، ومن الملاحظ أنه وفقاً لما ورد بالعهد القديم في الاحتفال بعيد الغفران عند اليهود أنهم يتلون واثر اللعنات على رأس تيس الأضحية وذلك في طقس التكفير على لسان الكاهن ثم يعطيه بيد من يلاقيه ليذهب بالأضحية إلى الجحيم ويسمى هذا الطقس (الشعيرة) كبش عزازيل [1] ورغم ذلك فانهم في عيد رأس السنة "ראש השנה" .

روش هشاناه يحرص كل فرد على الأكل من رأس الكبش الموضوع على المائدة و لا غضاضة في ذلك فلم يمتنعوا عن تناول رأس الأضحية اعتقاداً منهم لكي يكون في العام القادم رأساً (رئيساً) لا ذيلاً ، أما المصريون القدماء جميعاً فكانوا يراعون هذه الشعائر فيما يتعلق برءوس الحيوانات المضحى بها ، ووفقاً لهذه السُنة لا يذوق أحد منهم مطلقاً رأس أي كائن حي ، وكما هو واضح هناك فرق أو اختلاف في ما اتبعه اليهود كما ورد بالعهد القديم ، وبين ما اتبعه المصريون قديماً في هذه الشعيرة والتي تتعلق باللعنات التي يتلوها على رءوس الضحايا فمدلولها " إن كان هناك خطب سيحل بالمضحين أو بمصر كلها فليحل على هذا الرأس . ونرى أنه ربما اليهود هم الذين تأثروا بهذه الشعيرة .

٢- وادي الرافدين :

لعب الدين دوراً هاماً في حياة أرض الرافدين ، كما كان العامل المسيطر في كل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية ، كما نظر أهل الرافدين إلى الأدب و الفن و القانون نظرة الشرق الأدنى القديم كله ، نظرة في نطاق الدوافع الدينية ، وكانت هذه الدوافع متغلغلة في كل مظهر من مظاهر الحياة . فكانت الأساس المتين لتلك الحياة ؛ ويمكن القول أن هذا هو أبرز خصائص الحضارة في الشرق الأدنى القديم ؛ فكان الدين خلاصة القيم الإنسانية . أما عن الآلهة فهي إلى حد كبير آلهة سومرية تقبلها الغزاة المنتصرون مع بعض التعديل ، ثم امتزجت الآلهة البابلية و الآشورية نفسها وتفاعلت بعد ذلك بعضها ببعض بتغير الأزمان

[1] اللاويين ١٦ : ٢٠ – ٢٣ .

واختلاف الأحوال السياسية في أرض الرافدين ، وخصائص الآلهة لا تختلف عن خصائص الإنسان إلا في أنها أكثر كمالاً وتجريداً ولباس الآلهة كلباس البشر ولكن ثياب الآلهة أبهى من ثياب الأمراء ويصدر عنها بريق يخطف الأبصار ، وللآلهة أسر وأسلحة ، وصواعقها كصواعق الناس ولكن بالطبع أعظم وأهول ، وكانت عبادة الإله " عشتر " بالغة الأهمية داخل أرض الرافدين وخارجها ، فكانت رمزاً للأرض الأم ورمزاً للخصوبة أيضاً وكان ذلك متفقاً مع فكرة تنتمي إلى شعوب كثيرة في غربي آسيا وقد نشأت حولها سلسلة طويلة من الأساطير تكرس لها كإلهة الحب ، دعارة الطقوس الدينية ، وكان هذا النوع من الدعارة واسع الانتشار في عبادة الخصوبة ، كما كانت " عشتر" إلهة الحروب و المعلوك أيضاً ، وكان يرتبط بها الإلهة الشاب " تموز " ، وهو ذو طبيعة إلهية إنسانية معاً وكان يموت ويولد من جديد عاماً بعد عام ، ويرمز بذلك إلى ذبول حياة النبات وميلادها من جديد ، وثمة أسطورة بالغة الدلالة من الناحيتين الدينية والشعرية تقص علينا نزول الإلهة " عشتر " للإتيان به من دار الموتى [1] .

وتعتبر " عشتر " أهم الآلهة في سومر وأكد ، وكان السومريون يسمونها " أنينا " ومعناه في السومرية " سيدة السماء " ، و" عشتر " هو الاسم الأكادي السامي و نظيره " عشترت "لدي الفينيقيين و العبرانيين (إلهة أنثى) و" عشتر " لدى عرب الجنوب (إله ذكر) وهي تأتي في المرتبة بعد " سين " أبيها وأخيها " شمش " مباشرة ، وهي أخت " أرشكيجل " إلهة العالم السفلي ، وقد رمزوا إلى "عشتر " بنجمة " ذات ثمانية أشعة أو ستة عشر شعاعاً منقوشة داخل دائرة وهي التي ترشد النجوم إلى طريقها ، كما أنها نجمة الصباح تارة ، وتارة أخرى نجمة المساء ، لذا تغني قائلة

أنا عشتر إلهة الصباح * * أنا عشتر إلهة المساء

فهي في المساء إلهة الحب و اللذة ، وترفع إلى العرش من تهواه من البشر ، وحين تكون في الصباح فتضحى إلهة الحرب والقتل ، ولما كان الآشوريون شعباً محارباً بطبيعته ، فقد مجدوا " عشتر " المحاربة خاصة ، و القوس سلاحها المفضل ، و الأسد حيوانها الأثير ، نراها واقفة على ظهره في أغلب الصور التي تمثلها ، و انتشرت عبادتها في سومر وأكد ، ثم انتقلت إلى آشور ، ثم امتدت غرباً وشرقاً مع فتوحات جيوش بابل وآشور ، وكما ذكرنا ارتبط بالإلهة " عشتر " الإله " تموز " وهو أشهر آلهة الخصب في النبات ،

وقد ورد ذكره في التوراة[٢] على لسان حزقيال النبي قائلاً : " فجاء (الرب) بي إلى مدخل باب بيت الرب الذي من جهة الشمال ، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على " تموز " فهذه إشارة إلى أنه حينما كان حزقيال منفياً في بابل على يد نبوخذ نصر الذى نفاه هو وعليَّة القوم و أصحاب الحرف وأهل الحرب ، ونهب كنوز أورشليم ، وقد كانت حينذاك تمارس عند معبد أورشليم طقوس البكاء على الإله " تموز "، وهذا من آثار الدين البابلي التى نفذت إلى يهود فلسطين بعد أن ساد سلطان بابل وقد احتفل البابليون بالبكاء على "تموز " كل عام معتقدين أنه ينزل إلى أرلو العالم السفلي ، أرض الموتى ، كل خريف ، فيذبل النبات ولهذا يبكون عليه حتى يعود إلى سطح الأرض مع مقدم الربيع ، فيزهر النبات من جديد ، و" تموز " هو " أدونيس " الذي شاع ذكره في أساطير البحر المتوسط والاسم أدونيس سامي الأصل ، وقد اشتهر " تموز " أيضاً في مصر نفسها لشبهة بالإله " أوزيريس " [٣].

وكان أهل فريجيا Phrygia (في آسيا الصغرى) يعبدون إلهاً مماثلاً هو " أتيس " زوج الإلهة " كيبجلي " (الأم الكبرى) ، وهو شاب جميل ، قتلته خنزير بري كما حدث للإلهة " أدونيس "، ولكنه يقوم من الموت كما يقوم أدونيس ، وقد اندمج الإله " أتيس " بعد ذلك في" مين " إله القمر [٤].

وقد كان لكل من بابل وآشور إله من نوع أخر له أهميته وطابعه القومي ، فكان في آشور (إله آشور) وفي بابل كان الإله " مردوك " الذي بلغ السيادة في دولة حمورابي ، وقد شاع نفوذه بشكل لم يبلغه إله من آلهة الشرق القديم ، وارتبط مصيره بمصير مدينة بابل التى شُغل أهلها بتمجيده منذ بداية الألف الثاني ق . م ، وساعدهم في ذلك الكهنة ، حيث كان معبد " مردوك " فيها واسمه " البيت العالي الرأس " مركزاً تشع منه علوم الدين والسحر و ارتبطت بهذا الإله الروايات المتواترة عن أصل العالم و تنظيمه ، وكانت تصور الآلهة الأخرى تابعة له تساعده في مهمته الضخمة ، مهمة خلق الكون وتدبير أمره [٥].

وكانت الحياة اليومية التى يحياها البابليون و الآشوريين تظلها دائماً مخافة الشياطين التى تتشكل في آية صورة ، وتفضل عامة الأماكن المهجورة المظلمة

و الخرائب و المدافن ، ولها أصوات حيوانية تبعث الفزع الشديد ، وقد صورها فـــن أرض الرافدين بصور تجمع عادة بين أجسام الإنسان ورءوس الحيـــوان ، وكـانت الشـياطين في الغالب أرواح شريرة صعدت من جوف الأرض ، وبعضها أرواح موتى لم يدفنوا في قبور ، فكانوا يهيمون من مكان إلى آخر ، وينتقمـــون لأنفســهم علـى مصـيرهم التعـس بمهاجمة البشر ومضاعفة الكوارث ، وفيما يتعلق بالشياطين كان ينظر إلى الإنسان على أنـه لا عاصم له منها فعلاً ، وكان هذا أبرز ما يميز السيكولوجية الدينيـــة لأرض الرافديـن ، وكانت الخطيئة أقرب الطرق التي يستطيع بهـــا الشـيطان الدخـول جسـم الإنسـان وكانت الخطيئة أنواعاً عدة ، كإهمال الطقوس الدينية و السرقة و القتل ، وينظر إليها كلـها على أنها من نوع واحد ، فإذا أذنب الإنســان ينبــذه الإلــه الــذي يظلــه بحمايتــه ، فيصير الطريق مفتوحاً أمام الشياطين للدخول في جسم الإنسان ، وقد كان المرض أشـيع مظهر لوجود الشيطان داخل جسم الإنسان ، وربما كان شيطان الحمى أهونها عنـد أهـل الرافدين ، فكان لابد من طرد الشيطان من جسم المريض عن طريـق كـاهن متخصـص في هذا الأمر ، وذلك بالرقى و الأعمال السحرية التي تتطلبها الحالة ، وكان هذا الكـاهن يسمى "آشب " أي المعوذ ، وقد وصلت إلينا تميمة بابلية من البرونز تحمل صـورة غريـبة لعملية تعويذ وعلى ظهر التميمة صورة شيطان من ظهره بجناحيه وأطرافه ورأسه أما وجهـة المروع فيبدو في أعلى وجه التميمة ، وكان الكاهن يقوم بتلاوة عبارات سحرية مـع أداء طقوس معينة ، ونبدأ المراسم بدعاء للآلهة يصف ما يعانيه المذنب وأمله في الغفران ثم يـرش على المريض ماء مقدس وتلقى قطع من اللحم حتى يتمسك بها الشـيطان فيفـك قبضتـه عن جسم المريض ، وهذا كله يدل على انتشار استعمال الرقي والسحر في أرض الرافديـن انتشاراً واسعاً ومثال ذلك للعلاج من لدغة العقرب ، يبدأ بتلاوة الرقي فوق الجزء المصاب ثم يأخذ المريض في فمه سبع حبات من القمح الخالص مع بعض الأعشاب الجبلية ، ويمضـغ هذا كله ، وبعد ذلك يذهب إلى النهر و يغطس فيه سبع مرات ، وفي المرة السابعة يبصـق ما في فمه في الماء [٦].

وهناك وظيفة ثانية لطائفة أخرى من الكهنة يسمى الواحد منهم " بـــارو baru " وتقوم هذه الوظيفة بالتنبؤ بإرادة الآلهة و تفسيرها ، تلك الإرادة التى تقرر مصير الأمـــور في هذا العالم ، وهي وظيفة لا تقل شأنا بل تدل على التطور البالغ في النظـام الكـهنوتي ، وتأثيره الكبير على حياة الناس في أرض الرافدين ، ويتم التنبـؤ بفحـص كبـد الحيـوان

الذى يعلقون عليه أهمية خاصة ، ويخصصون فرعاً كاملاً من العلم لدراسته ، فقد وجدت نماذج من الصلصال عليها بيانات تفصيلية لكل مناطق هذا العضو (الكبد) وملاحظات على دلالة كل قطاع ، فإذا أراد الملك مثلاً معلومات عن المستقبل دعا الكاهن العراف ، فيذبح قرباناً من الحيوان يكون عادة من الغنم ، ويجيب على الملك حسبما يرى من دلالات في كبد هذا الحيوان ، كما كان هناك الاستعانة بفحص باقي أعضاء الحيوان الداخلية أيضاً للاستدلال واستدلوا في هذا الصدد بطيران الطيور ، وظهور حيوانات معينة ومسلكها ، وولادة الأطفال ، فكان يقال إذا ولد طفل بدون أذن يُمنى كان ذلك نذيراً بسقوط الدولة ، وإن لم تكن له يسري كان ذلك بشيراً باستجابة الآلهة لدعوات الملك وأنه سينتصر على أعدائه وكان كل شيء تقريباً كان حياً أو جماداً ويقع تحت ملاحظة الإنسان ، يصلح كمادة لاستطلاع الغيب ، كما كان التنجيم صورة أخرى من صور التنبؤ فحركات الأجرام السماوية واجتماعاتها ولونها كل ذلك أساساً للتنبؤ مما أدى إلي تطور عظيم في المعلومات الخاصة بالفلك في أرض الرافدين ، فكان للبابليين مراصد حقيقية منذ أقدم العصور مقامة على رؤوس أبراج المعابد ، كما كانوا يقيسون مدارات النجوم بالساعة المائية ، ويسجلون حركات الشمس و القمر تسجيلاً صحيحاً ، وأطلقوا أسماء على مجموعات الكواكب المختلفة أخذها عنهم اليونان فيما بعد ، وعلم الفلك هو الأساس الذي بنى عليه التقويم وهو من اثنى عشر شهراً قمرياً ؛ وهناك الكاهن (كلو kalu) المكلف بأداء الطقوس الجنائزية وإنشاء المراثي ، وكان الموتى يدفنون في توابيت من الخزف أو في حصائر من القصب ، وتوضع إلى جانبهم أشياء أو موت مختلفة ، وهي تدل على ما وراء القبر ، وفي نفس الوقت الإيمان بحياة أخرى بعد الموت دون إبراز لفكرة الثواب و العقاب بل تعكس بوجه عام نظرة متشائمة إلى الحياة الآخرة ، ومن المعتقد الراسخ عند أهل الرافدين أن روح الميت بعد دفنه في القبر تنزل إلى العالم السفلي (أرللو arallu) وهي مدينة كبيرة يحيطها الظلام و التراب و التراب يعيش فيها الموتى عيشة كئيبة حزينة ، يأكلون التراب و يشربون الماء القذر ، و لا يمكن التخفيف عنهم من هذا البلاء إلا بالقرابين التي يقدمها الأحياء من أقرباء الميت أو أصدقائها ، أما الموتى الذين لا يرعاهم أحد فيهيمون دون استقرار ويعودون إلى الأرض من حين لآخر في صورة أرواح شريرة تزعج الناس ، وهناك إشارات عابرة في الأدب الأكدي تظهر الفرق بين مصير الأخيار ومصير الأشرار ،

فيو يحدثنا عن مصير الأخيار الذين تباركهم الآلهة و تمهم الخلـــود في جزيـــرة مباركـــة موجودة للمختارين من قبل الآلهة [٧] .

وساد الدين سيادة مطلقة على كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في أرض الرافديـــن ، فكـــانت الطقـــوس تتضمـــن تفصيـــلات معينـــة ، ومحـــددة تـــؤدي في صرامـــة ودقـــة وكان تقديم القرابين أكثر الطقوس الدينية شيوعاً و استخداماً ، وتقدم القرابين لأغراض مختلفـــة للتفكير عن الذنوب ، أو اكتســـاب رضـــا إلـــه مـــن الآلهـــة ، أو تدشـــين معبـــد جديـــد ، هذا إلى جانب القرابـــين العاديـــة الـــتي تقـــدم كـــل يـــوم في المعـــابد في أوقـــات محـــددة ، ومعظم القرابين كانت من الحيوانات كالحمل والجدي وهي أكثرها استعمالاً إلى جانب الأنـــواع الأخرى مـــن القرابـــين كالســـوائل مثـــل النبيـــذ و العســـل و اللـــبن و الجعـــة والزيـــت ، ويبدأ الحفل الديني – بعد أن يوضع القربان على المذبح أمام تمثال الإله – بالصلوات تصحبـــها بعض الطقوس العملية والرش بالماء المقدس ، وكانت تخصص للإله أجزاء معينة من القرابين تحرق أو تســـكب تكريمـــاً لـــه ، وأجـــزاء أخـــرى تـــنزل إلى الكينـــة ثم يُـــرد البـــاقي إلى صاحب القربان ، ويذكر أنه على ما يبدو قيام بعض الكهنة بالاستيلاء على القرابين التى يـــؤتى بها إليهم وإحلال قرابين أخرى أقل قيمة محليا . وهم كهنة مخادعون يجنون الربح من غير جـــهد ، كما كانت المعابد تتلقى كميات كبيرة من السلع على مختلف أنواعها كشفت الآثار عـــن كيفيـــة إدارتهـــا بطريقـــة معقـــدة ، وانعكـــس مراعـــاة الطقـــوس بطريقـــة مبالغـــة في التقويم المقدس على أسس وقواعد مفصلة بحيث تؤدي الأعمال المختلفة سواء كانت خاصـــة أو عامة في أيام معينة يصرح القيام بها أو عدمه وفقا لهذا التقسيم ، كما شارك النـــاس بالمســـرات و الطقوس في الاحتفالات بالأعياد الدينية وهي أعياد الآلهة وأبرزها عيد العام الجديد في مدينة بـــابل الذي يبدي فيه الملك في احتفال مهيب خضوعه للإله حيث تتوافد إلى المدينة وفود ضخمة مـــن الحجـــاج تـــأتي مـــن كـــل صـــوب لتدعـــو الإلـــه " مـــردوك "بـــالعديد مـــن الدعـــوات ، وكـــان الإلـــه ينعـــم بـــالقرابين و النـــاس بالمـــآدب وفى ذلـــك اليـــوم يقرر الإله مصائر الدولة طوال العام [٨].كما كانت هناك صلوات عامة وأخـــرى خاصـــة تقـــم بالنواحي الشخصية أما الصلوات العامة فلها أسلوب أعم وأكثر توغلاً في النواحـــي الشـــكلية ، وتعبر الصلوات في صور مختلفة عن عبادة الآلهة ، تلك العبادة التى كانت بمثابة الجوهر من حيـــاة تلك الشعوب ،وكانت تصحب الصلوات حركات مختلفة ، فكانت تؤدى عادة وقوفاً أمام الإلـــه مع رفع اليد اليمنى ، ويبدو أن عادة الصلاة مع مد الكفين مفتوحتين نحو الإله من أصل سامي .

٣- كنعان :

أسهمت الشعوب السامية في سوريا وفلسطين من ناحيـــة و البـــابليين والآشـــوريين من ناحية أخرى في جلب أهم عناصر حضـــارتهم إلى كنعـــان خـــلال زحفـــهم المتصـــل نحو البحر المتوسط و مصر ، كما كان في الحضارة الكنعانية أثر أساسي آخر هو أثر مصـــر فكانت العلاقات بين مصر وكنعان في مجالي السياسة و التجارة معاً وثيقة متصلـــة واســـعة النطاق ، وما من شك في أنها تركت طابعها على الأدب و الدين الكنعاني ، وهناك أيضـــا الشعوب غير السامية التي اندفعت إلى سوريا وفلسطين مـــن آســـيا الصغـــرى والبحـــر وأدت نصيبها في الحضارة الكنعانية ، وهيأت لقيام مراكز عالمية حقاً كما في " أوجـــاريت " ، ومن الملاحظ في الدين الكنعاني أنه أدنى كثيراً من دين أرض (الرافديـــن) في المســـتوى الحضاري ، ويتجلى هذا بوضوح في قسوة بعض طقوسه و اهتمامـــه الشـــديد بالعنـــاصر الجنسية و الآلهة الكنعانية لها طابع غير محدد أو ثابت ، فهي كثـــيراً مـــا تتبـــادل صفاتهـــا ووظائفها وصلاتها ، بل جنسها أيضاً حتى يصعب أحياناً معرفة حقيقة طبيعتـــها وصلاتهـــا بعضها ببعض ، ويرجع هذا إلى انعدام الوحدة بين الكنعانيين من ناحية ، كما لم يكن هنـــاك طبقة من الكهان منظمة تستطيع تنظيم الدين كما في أرض الرافدين من ناحيـــة أخـــرى ، وقد كان لكل مدينة آلهتها الخاصة و التي لها مكاناً أيضاً بين الآلهة التي يعبدهـــا المجتمـــع ، كما تمثل وظيفة معينة من وظائف الآلهة المشتركة أو مظهراً معيناً من مظاهرها ، وتمثل هـــذا على أحسن وجه نصوص " أوجاريت " ، وكان " إل " رأس آلهة الكنعانيين ، وهو ليـــس اسم علم في الأصل ، ولكنه اسم (سامي عام) معناه " إله " وقد استعملته شعوب كثـــيرة على أنه الإله الأكبر وقد ظل الإله الكنعاني " إل " كالإله البـــابلي أن شـــخصيته بعيـــدة غامضة بعض الشيء فهو يـــكن عند منبع النهرين وذكره في الأساطير أقل من ذكر الآلهـــة الأخرى ، وزوجة هي الإله " أثرت " المذكورة أيضاً في التوراة باسم " اشيراً " [1] .

وكان أبرز الآلهة الكنعانية هو الإله " بعل " ، وهو اسم عام في الأصل معناه " ســـيد " وهو مركز مجموعة أخرى من الآلهة فيمكـــن إطلاقـــه علـــى آلهـــة مختلفـــة كذلـــك ، ولكن بعل الأكبر كان إله العاصفة و البرق و المطـــر و الإعصـــار ، كالإلـــه " هـــدد " لدي البابليين والآراميين[2] ، وإن علاقة الآلهة ببعض الأماكن المحددة التي تعتـــبر منـــاطق خاصة بنفوذهم تتضح في الديانة السامية في لقب " بعل " وجمعه " بَعَلَيم " ومؤنثه " بَعَلَـت "

أما إذا استخدم لفظ " بعل " مع البشر فهو يعني صاحب بيت أو حقل أو ما شابه ذلك ، وفي حالة الجمع فإن لفظ " بَعَليم " معناه أهل البلاد أو مواطنون أحراراً ، أما في العربية فيستخدم لفظ بعل بمعنى " زوج " و لا يستخدم لوصف علاقة سيد بعبده ، ومن الخطأ استخدامه كلقب إلهي أو مجرد مرادف للألقاب الدالة على السيادة على البشر ، فعندما يطلق اسم " بعل " على إله فإنه لا يعني " سيد أتباعه " بل معناه " صاحب المكان " ويتم تمييز كل بعل محلي بإضافة اسم منطقته ، فلم يكن هناك فارق يُذكر بين بعل وآخر إلا من حيث ارتباطه بعشيرة ما أو بمكان ما ، ويتم تمييز كل بعل محلي بإضافة اسم منطقته فنجد أن "ملكارث " هو بعل " صور"، " وعشتارت " هي بَعَلت " بابل " وكان هناك بعل لبنان وبعل جبل الكرمل وبعل بيثور ، وهكذا في جنوب الجزيرة العربية يرد لقب بعل في علاقات محلية مماثلة منها " ذو سماوي " وهو بَعَل منطقة " باسير" ، "وعشتار " بعل غمدان ، وإلهة الشمس بعلت لعدد من الأماكن [٣]، وكثيراً كان يتم دمج الآلهة على اختلافها في تحالف بين قوى إلهية حيث كانت تعبد جنباً إلى جنب نتيجة لاندماج العشائر عن طريق المصاهرة والنسب ، أو تتعايش معاً بقرية واحدة على أساس من الود الاجتماعي ، ولذا لم يكن هناك داعيا لاستقلا آلهتها وهو ما لا نجد بدأ من أن ننسب إليه تطور نسق تعدد الآلهة عند الساميين وتحالف الآلهة كما نجده في الدين الرسمي لمصر القديمة ، فكان الساميون القدماء يؤمنون بوجود عدد من الآلهة ، فيتقبلون آلهة أعدائهم وآلهتهم هم كحقيقة ، لكنهم لم يعبدوا آلهة الغرباء الذين لم يكونوا يتوقعون منهم خيراً ، ولما كان كل مجتمع صغير يكن قدراً من العداء لكل جيرانه من أن لأخر فاستحالت صياغة نسق لتعدد الآلهة ، فكان لكل جماعة إلهها – أو ربما إله وإلهة – لا صلة له من أي نوع بسائر الآلهة ، ولم ينشأ المجتمع و العشيرة إلا بتجمع الجماعات الصغيرة في وحدات أكبر ، والجدير بالذكر أن تطور النسق الهرمي أو اتخاذ آلهة الساميين يرجع في معظمه إلى البابليين و الآشوريين الذين سعوا رجالهم لبناء إمبراطورية متماسكة قوامها عدد كبير من التجمعات المحلية ويرجع الفضل إلى جهود الكهنة الذين عملوا على إيجاد توحيد مماثل بين الديانات المحلية المتعددة ، ومن ناحية أخرى كان الاندماج الاجتماعي بين مجتمعين يؤدي إلى اندماج ديني مواز ، وكان هذا يحدث بطريقتين ، إلهان يندمجان ليصبحا إلهاً واحداً ، كما حدث حين جمعت غالبية بنى إسرائيل بين " يهوه " في ديانتهم المحلية " وبعليم " إله المرتفعات عند الكنعانيين ، ونقلوا عنهم طقوس المزارات المقدسة في عبادتهم دون

أن يروا في ذلك ما ينم عن تراجع ولائهم " ليهوه " عن ذي قبل ، ومما ساعد ويسر هذه العملية ذلك التشابه الشديد في الصفات التي كانت تنسب إلى مختلف الآلهة المحلية أو القبلية و التطابق في الألقاب القدسية التي كانت تطلق عليها [٤].

وبعل هو العنصر المذكر في مجموعة آلهة الدورة النباتية ، التي نجدها أيضاً في روايات دينية سامية أخرى ، وترتبط بعل في هذه المجموعة آلهتان من آلهة الخصب هما (عنت وعشترت) ، وترد " عشترت " في التوراة باسم " عشترت " ، أو جمعاً عشتاروت ، وهي صنو عشتر في أرض الرافدين ، ولها نفس خصائصها إلى حد كبير وتجميع هاتين الإلهتين بين صفتي البكارة ، والمقصود بالبكارة هنا نضارة الشباب والقدرة التي لا تنضب على الحمل والولادة والأمومة ، كما تبرز الصور التي تمثلها الملامح والرموز الجنسية ، وكثيراً ما يصورهما الأدب والفن قاسيتين متعطشتين للدماء يسرهما تذبيح الرجال . وبذلك تعتبر عنت وعشترت آلهتا حرب أيضا ، وكان الإله أدونيس الذى عُبد في جبيل ، وهذا الاسم مشتق من كلمة سامية معناها " سيد " وهو يمثل الإله الشاب الذي يموت ثم ينهض من جديد كما يفعل النبات ، وبه تكتمل مجموعة آلهة الخصوبة ، وكانت له نفس خصائص الإله البابلي " تموز " ، كما كان للشمس و القمر مكان محدود بين قوى الطبيعة المختلفة التي كانت تؤلهها كنعان ، وقد تجلى الطابع المركب الذي تتسم به حضارة الكنعانيين في عباداتهم آلهة عدة أخذوها عن المصريين و البابليين ، كما حدث ارتباط واندماج فيما بعد بين الآلهة الكنعانية وآلهة اليونان [٥].

وقد شاعت هياكل العراء فلم تكن أماكن العبادة أو معظمها في صورة المعابد المعروفة ، وكانت تقام بالقرب من الأشجار أو الينابيع أو على التلال بخاصة وهي الأماكن المرتفعة التي تحدث عنها العهد القديم ، وكان هيكل العراء يتكون من أرض محاطة بسياج تضم مذبحا وفيهما قبل أي شي آخر حجر مقدس أو حجران يعتقد أنه أو أنهما مسكن الإله وهي بمثابة نصباً خاصاً ونرى ذلك عند العرب أيضاً ففي الطقوس العربية الدينية نجد إنهن يعبدان ، في حين أن هناك سبعة أحجار مقدسة يتم دهنها بالدم ، وتمثل مجموعة من الأحجار المقدسة يطوف حولها العابدون ، أما المكان " عنتوت " في كنعان فهو اسم معناه أصنام " عَنَت " بصيغة الجمع ، وفي " جلجال " كان هناك

اثنا عشر نصباً مقدساً يمثلان الأثني عشر قبيلة ، كما تمت إقامة أثنى عشر عموداً بسيناء ، في قربان العهد [٦].

وهناك القول بأن في الأنصاب المقدسة أصناماً لا للآلهة بل لأعضاء جسمانية ترمز إلى قوى أو صفات محددة للإله وخاصة قوة منح الحياة و التناسل إلا أنها لا تمت بصلة لتفسير لأصل الحجارة المقدسة ، فلم يبدأ البشر بعبادة رموز لقوى الآلهة بل كانوا يتوجهون بعباداتهم وقرابينهم للإله نفسه ، ولو كانوا يعتقدون بتجلي الإله في الحجر لكان من الطبيعي أن يمارسوا ملكتهم الفنية بوضع شيء على الحجر للدلالة على ذلك ، ولو كانت صورة الإله في عقيدتهم ذات ملامح بشرية لكان هذا الشيء صورة بشرية أو مجرد إشارة لبعض الأجزاء الهامة من جسم الإنسان ، ففي " تبالة " بالجزيرة مثلاً نجد ما يشبه التاج منحوتاً على حجر اللآت لتمييز رأسها ، وربما تم تحديد بقية أعضاء الجسم بنفس هذه الطريقة ، وخاصة لتمييز الأعضاء الجنسية ، أما إثبات أن ملحقات الأنصاب المقدسة ليست رموزاً جنسية فيتضح من حقيقة أن نفس نوع النصب أو المخروط كان يستخدم لتمثيل الآلهة و الإلهات دون تمييز ، وبعد استعراض كل تلك الآراء و الأقوال نجد أن الاحتمال الأكبر أن اختيار نصب أو كومة من الحجارة للتعبير عن الصنم البدائي لم تكن تمليه آية اعتبارات إلا ملائمته للأغراض الدينية فكان الحجر أو كومة الحجارة علامة ملائمة تميز موضع القرابين ، وفي الوقت نفسه لو رضى الإله بالتجلي فيه كان يمثل الوسيلة لممارسة طقوس دماء القرابين [٧] .

وهناك أسماء آلهة كنعانية أخرى مشتقة من الاسم " ملك " ، فهذا الاسم يظهر بين العموميين علماً على إلههم القومي ، وذلك في الصيغة " ملكوم " ، وإله " صور " يشتق اسمه من الكلمة نفسها ، فهو " ملقرت" (اختصار ملك قرت) أي ملك المدينة ، ويُلقب الإله " ملقرت" في نقش فينيقي من مالطة ببعل (سيد) صور ، وقد انتشرت عبادته من صور إلى قبرص ومصر وقرطاجة وبجعله اليونان صنو إلههم هرقل[٨] .

وقد كانت هناك عبادة الخصوبة وتلك عادة تنم عن مستوى ديني منخفض هي زنا الطقوس والتي تسمى أحيانا "الدعارة المقدسة" ، وقد بطل استعمالها فيما بعد ، بفضل تطور الدين الكنعاني ، وقد كان الزواج المقدس يتم في الأول من نيسان (بداية السنة)

عند البابليين ويهدف أساساً إلى الاستزادة من أسباب الخصب والرخاء وزيادة المحاصيل وتكاثر الحيوانات ، وقد كان نيسان معروفاً من قبل بـ " أبيب " عند الكنعانيين[٩] .

التقدمات :

كانت القرابين الكنعانية من الحيوانات المألوفة ، كما كانت تضم ضحايا من البشر ، فكانت تقدم القرابين الآدمية مثلاً في الكوارث العامة الهائلة على أنها أعظم قربان يمكن أن يقدمه الإنسان إلى الآلهة ، وقد قيل أن الكنعانيين كانوا يقدمون قرابين من الأطفال عند تشييد المباني ، لكن هذا أمر غير مؤكد ، فلا توجد أدلة مقنعة لوجود هذه القرابين ، حيث لم تكتشف بعد أية آثار تدل على الموت قتلاً في الهياكل العظمية [١٠] .

الكهانة :

لقد بلغت الكهانة في تطورها مرتبة عالية بعض الشيء إلا أنها لم تبلغ من التنظيم حداً على ما يبدو بالمقارنة لما بلغته الكهانة في أرض الرافدين ، فهناك ذكر للكهنة الكبار وسدنة المعابد ، والنساء النادبات و البغايا المقدسات ، كما يوجد عدد غير قليل من المتنبئين ، وتشير نصوص " أوجاريت " إلى بعض طقوس التنبؤ ، ولدينا أخيراً طائفة خاصة هي طائفة الأنبياء و لم تتضح وظيفتهم ومكانتهم في الدين الكنعاني بشكل تام ، إلا أنهم يمثلون مظهراً من مظاهر الدين الكنعاني له نظير عند بني إسرائيل [١١] . حيث ورد ذكرهم بالعهد القديم ، وهم أنبياء البعل [١٢] .

٤ – العبريون :

وقد أطبق عليهم هذا الاسم نسبة إلى إبراهيم عليه السلام حيث ورد في العهد القديم اسم أبرام العبراني [١] . ومعنى العبراني أي العابر أو المنتقل من مكان إلى آخر ، كما ورد اسم عابر أيضاً وهو أحد أجداد إبراهيم عليه السلام ، هذا إلى جانب ورود كلمة عبري أو عبراني في مواضع متعددة ذات معاني مختلفة فقد وردت بمعنى أجنبي أو غريب في قصة يوسف حين قالت زوجة خصيٌ فرعون ورئيس شرطة : " قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا " [٢] وتقصد يوسف عليه السلام ، ثم وردت في موضع آخر بمعنى أخ في " إذا بيع

لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حـــراً من عندك " [٣]. وهو في نفس الوقت حكم أو تشريع مأخوذ من أمـــم أخـــرى لاســيما الأكاديين ، ويكاد يكون ترجمة لما جاء بقانون حمورابي في المادتين ١١٧ ، ١١٨ ونكتفـــى بهذا القدر من التفسير حول أصل التسمية ومعناها فليست مقصدنا ، وقد ســـبق الكثـير من العلماء و الباحثين في التفسير لمعنى عبري ، والتي تخص أيضاً اللغة التي نتحدث بها أقـوام العبريين وجماعاتهم والتي تسمى باللغة العبريـــة ، ثم تطـور اســم عـبري إلى إســرائيل وهي باختصار التي يفضلها اليهود على غيرها من التسميات التي أطلقت عليهم عبر التاريخ وتعتبر موضع فخرهم واعتزازهم ، فهي تعـود في العـهد القـديم بشـأن تغيـير اسـم يعقوب عليه السلام من يعقوب إلى إسرائيل وقصة هذا التغيير التي تحوي عناصر أسطورية خرافيـة وافتراء على الذات الإلهية [٤].

كما عرف اليهود باسم أخر بعد (عبري) و (إسرائيلي) من الناحية التاريخية وهـــو " يهودي " وهي بشكل عام تطلق على كل من يعتنق ، أو يعتقد في الديانـــة اليهوديـــة ، فيهودي نسبة إلى اليهودية ، أما بشكل خاص فهي تشير إلى مملكة يـــهوذا في الجنـــوب . كما أن كلمة يهوذا في الأصل ترجع إلى اسم يهوذا أحد أبناء يعقـــوب عليـــه الـــلام . وهو أيضاً أحد أسباط بني إسرائيل الذين أشار إليهم القرآن الكريم في أكثر من موضع [٥].

العقيدة :

وتقوم عقيدة العبريين على فلسفة خاصة أساسها فكرة عهد بـــين الـــرب وجماعتـــه ، وكانت هذه الفكرة هي المعين الأول للمحافظة على كيان تلك الجماعة التي تعرضت لكثير من المحن والأزمات العصيبة طوال تاريخها لما ارتكبته من آثام حادت بها عن الطريق المستقيم فغضب الرب عليها فجعلها فريسة مهانة ومضطهدة ذليلة لكثير من الأمم ورغـــم تنبيـــه الأنبياء وتحذيرهم بين الحين والآخر للرجوع لعبادة الله الواحد والتمسك بعهده لنيل رضـاه و الصفح عنها . لذا اهتم قادة تلك الجماعة على مدى أجيـــالهم بالحفـــاظ علـــى الديـــن أو العقيدة اليهودية التي تتميز باختيار الـــرب لهـــا لتكـــون جماعتـــه المختـــارة المتمـــيزة بطابع الدين القومي .

وعندما نفسر فكرة العهد نتناول ما ورد بالعهد القديم و الشرح والتي تعتبر بداية التراث الديني القديم ، فقد ورد " ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال ... فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً ... وتكون أباً لجمهور من الأمم ... وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ، في أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلهاً لك و لنسلك من بعدك . وأعطى لك و لنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً . و أكون إلههم " [٦].

وأوصى الرب أن يحفظ عهده على أن يختن كل ذكر فيكون علامة عهد الرب ويصبح في أجيالهم عهداً أبدياً [٧].

وبداية التراث الديني اليهودي اعتقاد الجماعة اليهودية وإيمانها بإله واحد هو " يهود " الذى أنزل توراته أي شريعته على نبيه موسى إبراهيم ﷺ . ومعنى يهوه كما فسره بعض العلماء " هو الذي يكون " فقد وردت هذه العبارة بالتوراة غير مترجمة وهي بالعبرية " אהיה אשר אהיה " إهية الذى أهية [٨]وقد فسرها آخرون بمعنى هو الذي يوجد (بكسر الجيم) أي " الخالق " ، وإله اليهود ليس بذكر أو أنثى فهو مقدس وعادل وليس له مكان ثابت ، بل موجود في كل مكان . و لا يظهر إلا في حالات معنية وأشكال خاصة ، وقد عقد عهد خاصاً مع جماعة (اليهود) وجعلهم شعبة المختار [٩].

وقد دلت الكلمات المختلفة التي وردت بالعهد القديم (مصدرنا الأساسي لمعرفة ما هية الديانة اليهودية) في معظمها على القوة بالنسبة للرب فقد سُمي إل " אל [١٠] بمعنى " قوة " فقد عبرت عن هذا المعنى كثير من فقرات العهد القديم التي وردت فيها هذه الكلمة كما ورد أيضاً باسم " شداي " وتعني هذه الكلمة " قوي " وجاءت في فقرات عديدة بهذا الاسم " אל שדי " [١١]. وقد ورد أيضاً باسم " אלהים " إلوهيم [١٢]وهي تعبير عن القوة ومن الملاحظ أن معظم الكلمات التي وردت في فقرات العهد القديم لتعبير عن الرب تتسم بالقوة وهي تدل على أن اليهود كانوا يشعرون بالضعف والضآلة تجاه القوى العظيمة التي أحاطت بهم مما جعلهم في حاجة نفسية وجسدية لإله قوي يكون لهم سنداً ومعيناً يناجونه ، ويدعونه في الأزمات وأوقات الشدة [١٣].

والجدير بالذكر أن " إل " هو اسم الإله الكنعاني ، كما سبق الحديث عنه في المحور الثالث كنعان ، كما كان أيضاً على رأس آلهة الكنعانيين و " إل " هو اسم ساميّ عام أيضاً بمعنى إله ، وقد اعتبرته كذلك شعوب كثيرة على أنه الإله الأكبر .

وقد ورد الرب في العهد القديم باسم يهوه وذلك حين أرسل الرب موسى عليه السلام إلى فرعون وقد قال له موسى من أنا حتى أذهب إلى فرعون لأخرج بني إسرائيل من مصر فقال له الرب سأكون معك فأخبره موسى ، ماذا سيقول لهم إذا قالوا له ما اسمه (أي ما اسم الرب هذا) فأخبره الرب : هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذا اسمي إلى الأبد[١٤] .

وكما هو واضح من الفقرات السابقة خصوصية الإله أنه يخص بني إسرائيل وحدهم فيهو إلههم وإله آبائهم.

وفي محاولة قديمة لتفسير الاسم يهوه فكاتبها يرى أن " يهوه " صيغة مضارع الغائب من الفعل " هياه " وهوى بمعنى " كان " في وزن المجرد فيكون يهوه بمعنى " يكون " كما أن معنى" أهية " اكون " ويكون " يهوه " اسم الله حين يتحدث عنه غيره ، ويكون أهية اسمه حين يتحدث الرب عن نفسه ، كما يرى بعض العلماء أن " يهوه" من "هوى " "كان " ولكن في وزن أفعل (هفعيل) ، فيكون المعنى " يوجد " (بكسر الجيم) أي يخلق أي أن يهوه هو الخالق ، ولكن انتقد " سمند " هذا الرأي من ناحيتين هي أن وزن هفعيل من الناحية الشكلية لا يرد من " هياه " في العبرية ، كما أن فكرة الخلق أى خلق يهوه للعالم من الناحية الموضوعية ليست قديمة ، ولا ترجع بأية حال من الأحوال إلى الدين العبري في صورته الأولى ، ويقول " شتادة " أن الجذر الذي اشتق منه الاسم " يهوه " يبدو أنه هوى بمعنى سقط فيكون يهوه بمعنى " المسقط " أي الذي يسقط ببرقة الأعداء و الآثمين ، ويرى " فلهاوزن " أن " يهوه" من هوى العربية التي منها الهواء منها الهواء فمعناه " يهب " أي أنه إله العاصفة[١٥] .

وقد صوره العهد القديم بالفعل على أنه إله القوى الطبيعية ، يظهر وسط الرعد والبرق والسحب ، فعندما ارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً [١٦]وذلك عند خروجهم من أرض مصر ، مما يدل على حرص الرب

للحفاظ على جماعته وحبه وتمييزه لها كما يظهر كاتب تلك النصوص وتدل على خصوصية الإله في نفس الوقت ويصور العهد القديم أيضا الرب بأنه إله حرب وجيوش ، وذلك حين قال موسى لجماعة اليهود : " لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم . فإنه كم رأيتم المصريين اليوم لا تعودون تروهم أيضاً إلى الأبد . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمدون " ، كما ورد في موضع أخر عندما نجا موسى وقومه من فرعون وجنوده ، وأنشدوا للرب " الرب رجل الحرب الرب اسمه . مركبات فرعون وجنوده " وجيشه " ألقاهما في البحر . فغرق أفضل جنوده المركبية في بحر "سوف" [١٧] .

ومن صفات الرب التي وصفه بها العهد القديم ، وصفوه بالقسوة والوحشية التي لا تليق بإله حيث ورد في الفقرات أن الرب يحثهم بل يأمرهم بحرق المدن وقتل أهلها شيوخاً وأطفالاً ونساءاً ، و ورد أيضاً " هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن أذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله و لا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة . طفلاً ورضيعاً . بقراً وغنماً . جملاً وحماراً[١٨] .

وعلى ما يبدو أن المقصود بالتحريم في " وحرمو كل ماله " أي حرمانهم من الحياة على أن يقدموا كقربان ليهوه ، كما تظهر الفقرات أيضاً وكأن الرب متعطش للدماء و القتل .وكذلك توضح الفقرات أيضاً في مواضع أخرى أمر الرب وتوصيته بكيفية القضاء على المدن وحرقها بالنار وتحريم كل ما فيها مع بهائمها بحد السيف وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك لكي يرجع الرب عن حمو غضبه ويعطيك رحمة ويكثرك كما حلف لآبائك " [١٩].

ويبدو أن فكرة " التحريم " للمدن المفتوحة كانت موجودة عند الموآبيين وفقاً لما ورد في السطر السادس عشر و السابع عشر من النقش المعروف بنقش ميشع الموآبي والذى دُوّن في سنة ٨٥٠ ق . م تقريباً ، فيقول ميشع أنه قتل سبعة آلاف وحرمهم " لعشتر كموش " ، وربما كان تحريم المدن صورة من صور القرابين البشرية التي كانت تقدم للآلهة [٢٠]. ومن الواضح أنه ما وردد بالعهد القديم من نصوص تحوى فكرة التحريم تدل على مدى تأثر اليهود بديانات الشعوب الأخرى التي عاشوا بينها ، فقد أظهرت

النصـــوص أيضاً أن الإله يتغذى ويستمتع برائحته اللحم المشوي .المقدم له كقربان محرقة عـــلى مذبح الرب فيكون له رائحة رضا و متعة وسرور كغيره من آلهة الشعوب الأخرى مما يدل على التأثر بالمعتقدات الوثنية لتلك الشعوب .

فقـــد ورد مـــا يدل على ذلك " وكلم الرب موسى قائلاً أوصى بني إسرائيل وقل لهم قـــربانى طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته " ؛ " محرقة كل ســـبت فضـــلاً عـــن المحـــرقة الدائمـــة ومـــكيبها " [٢١]. وعند عصر الآباء " بنى نوح مذبحاً للرب .. وأصعد محرقات على المذبح فتسم الرب رائحة الرضا " [٢٢] وبعد دخول الـــيهود إلي كنعان عبدوا إله الكنعانيين مما يدل ويؤكد التأثر بالآخرين وقد أوضحنا سلفاً حين جمع أغلب اليهود بين يهوه في عبادتهم وبعليم إله المرتفعات عند الكنعانيين .

ويعاقب يهوه الأبناء على الجرائم التي يرتكبها الآباء ويأمر بالا يصنع بنو إسرائيل تمثالاً منحوتاً و لا صور ما .. فلا يسجدون لآلهة أخرى فإنه إله غيور وفقاً لما ورد بالوصية الثانية مـــن الوصـايا العشر [٢٣].كما يظهر يهوه بأنه إله متعصب كغيره من آلهة الشعوب الأخرى فـيحل لليهوّد خداع الغير وسرقة مال الغير حين أمر اليهوديات بسلب جاراتهن المصريات ليلة الخروج من مصر [٢٤].

فتظهر الفقرات السابقة حرص الرب على نصرة اليهود ظالمين أو مظلومين .

القربان :

ويـــبدو أن القربان كان عمل أو طقس للعبادة من الضرورات الأكثر وجوباً في معظم الأديـــان في العالم واهدف منه تقوية العلاقة بين الفرد أو الجماعة وبين الآلهة ، ويرى كثير مـــن الباحثين أن القربان أساسي في الدين ولة مكانة أساسية في أديان كثيرة من ناحية الفهم الديـــني و الأســـطوري (الميـــثولوجي) وكذلـــك مـــن الناحـــية التعبدية (الطقسية) رغـــم يـــتعلق بالتقالـــيد التشـــريعية المختـــلفة تـــرتدي الفكـــرة صـــورة تقديم الآلهة نفسها مثل " הפורדסא "

في الأســـطورة اهندية ، والشريعة المسيحية في قصة المسيح الذي يكفر عن ذنوب الجنس البشري بموته على التسليب ، وهناك تقاليد دينية كثيرة ودور للكهنة في تنفيذ هذا الطقـــس المقـــدس ، وتقـــديم صاحب القربان لقربانه بنفسه ، وبعد إلغاء القرابين الدموية أصبحت الصـــلاة بديـــلاً عن القربان ، والنذين كان أيضاً في العصور القديمة شيء واحد لا يتجزأ

فارتبط القربان بالصلاة ارتباطاً وثيقاً ، وهناك أديان لا تعترف بالقربان مطلقاً كالإسلام الذي يستخدم معنى لغوياً عاماً ذات قيمة هامة وهي الشهادة في سبيل الله والوطن لإعلاء كلمة الله والحق والحرية[٢٥] والقرابين في العهد القديم (المقرا) أداة أساسية للتكفير عن الذنوب و التطهير من النجاسة الشديدة ، كما أنه أساس عملي لعبادة الرب في المسكن وفي بيت المقدس ، كما أنه تحقيق لوصية الصعود والحج إلى أورشليم في الأعياد الثلاثة ، وشرائع القربان لها مكانة عظيمة في التوراة وموصوفة بالتفصيل ومعظمها موجود في التفاسير الخاصة بالمصدر الكهنوتي وفي النصف الثاني لسفر الخروج . وفي كل من سفر اللاويين وسفر العدد و التفاسير الخاصة بهم و تنقسم القرابين إلى أربعة أنواع رئيسية :

١- محرقة ٢- ذبائح سلامة ٣- ذبيحة خطية ٤- ذبيحة إثم أو جرم

١- المحرقة : وتذبح بالجانب الشمالي للمذبح . وتحرق كلها على المذبح -ويعطى الجلد فقط للكهنة . ويرش دمها على المذبح وحوله[٢٦] ، ويقدم هذا القربان من أجل الحصول على رضا الرب .

٢- ذبائح السلامة : وتذبح عند باب خيمة الاجتماع . ويؤكل معظم لحم الذبائح من أصحابها وأعضاء معينة من هذه الذبائح مثل الصدر والساق [illegible] تصنع بها طقس التريفة والرمي (حسبما جاء في التثنية ١٨ : ٣) أما الذراع و الفكين و الكرش تعطى طعاماً للكهنة . وأعضاء أخرى كالشحم و الدهن و الإليا كاملة تحرق مع كل الأجزاء المتبقية لتمجيد الرب ، ودم ذبيحة السلامة و المحرقة يرش حول المذبح .

٣- ذبيحة الخطية : الخطية فتذبح في الشمال ومعظم لحمها يأكله الكهنة في فناء خيمة الاجتماع . وتحرق الدهون ويرش الكاهن باصبعه من ذبيحة الخطية على قرون المذبح ثم يسكب باقي الدم أسفل المذبح وفي نوع معين من ذبائح الخطية يدخل الكاهن من الدم إلى المكان المقدس . ومن هذا النوع ذبيحة عيد الغفران ، وأيضا عن التكفير فيرش مسن على قرون المذبح الذهبي . ويسكب كل الدم إلى أسفل مذبح المحرقة . ويحرق لحم ذبيحة الخطية خارج الخيمة وهذا القربان يقدم عن الفرد أو عن الجماعة

٤- ذبيحة الإثم : أما عن هذه الذبيحة فتذبح في الشمال ، ويرش دمها على المذبح . ويحرق شحمها أو دهنها أما لحمها فيؤكل ، فيأكله الكهنة كما في لحم ذبيحة الخطية ويكون جميع تلك القرابين من البقر أو الغنم . وتقدم ذبيحة الإثم والمحرقة من الذكور فقط وذبائح السلامة من الذكور أو حسب الرغبة أما ذبائح الخطية فحسبما دفقال

بالكتاب كما يجب أن تكون جميع القرابين صحيحة تامة ، ويقوم أصحاب الذبائح بتقييدهم بربط الأرجل والأيدي قبل الذبح . وتقدم الطيور للمحرقة وذبيحة الخطية فقط و لا يذبح قربان الطير بل يخنق باليد وتقطع رأسه ، وتقدم غرقة الطير وذبيحة الخطية فقط ولم يفسر بالتوراة ماذا يصنع بلحم طير الخطية .

وهناك قرابين خاصة تقدم من النبات (قرابين نباتية) وهي " מנחה " المحاة أي المتقدمة وهي دقيق حنطة نقي (منخول جيداً) مخلوط بزيت بالإضافة إلى بخور عطري أو لبان ويحرق على المذبح ، والباقي يأكله الكهنة . كما أن هناك صور مختلفة للتقدمة عبارة عن فطائر محلاة أو خبز مختمر ورقائق من الفطائر المقلية وتقدم التقدمة بشكل عام كإضافة للمحرقة وذبائح السلامة كتقدمة خطية " מנחה חטאת " وتلك التقدمة لا يُرش عليها زيت أو ملح أو بخور . ويجب أن يقدم على المذبح خبزاً أو خميرة = خل . وعسل = فاكهة محلاة . وذلك بتقديم البواكير فلا تقدم على المذبح بل تقدم أو تعطى للكهنة[٢٧] . وتلك القرابين عرفتها مجتمعات الشرق الأدنى القديم ويرش على جميع القرابين المحروقة على المذبح ملح أما عن المشروبات فيكثر تقديم الخمر وهو " نيكوب " نيسكب الخمر على معظم المحرقات وذبائح السلامة فعل سكب الماء في " הסכיתו " المعركوت . عبد المطلب وقد ورد سكب الماء في أكثر من موضع بالعهد القديم "[٢٨] .

ويقصد البخور ، العطور ، التي تصعد لتحرق صباحاً ومساءاً على المذبح الذهبي . وتقدمات دائمة وإضافية وتقدمات عامة وقرابين خاصة . وفقاً للقائمة المفصلة التي وردت في ، العدد ٢٨ ، ٢٩ . حيث يبدأ إصحاح ٢٨ بـ " وكلم الرب موسى قائلاً . أوصِ بني إسرائيل وقل لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه في وقته " وبعد هذه المقدمة نرد تفاصيل الإصحاح ٢٨ عن القرابين التي تقدم في يوم السبت وفي رؤوس الشهور و الأعياد مثل الفصح في الرابع عشر من نيسان وفي يوم الباكورة عيد الأسابيع " البواكير " أما الإصحاح ٢٩ " يستمر العدد بدأ بالتوصية بالاحتفال بداية الشهر السابع وعيد الاشتغال بأي عمل وما يقدم للرب . ثم في عاشر هذا الشهر صنع عيد الغفران و القرابين الخاصة به وعن عيد المظال في الخامس عشر من هذا الشهر وما يقدم فيه كل يوم طوال السبعة أيام الخاصة للاحتفال به من ذبائح رائحة سرور للرب .

وتوجد في سفر اللاويين قائمة مختلفة في تفاصيلها فإنها توضح القرابين الخاصة المرتبطة بالطقوس وخاصة طقوس معينة للأعياد مثل العومر والبواكير وتقسم القرابين الفردية بقرابين الدين . وقرابين مسموح بها للنذور ، والتقدمات ، والصدقات، ومحرقات ، وذبائح سلامة يحضرها الفرد ليقدمها كعلامة أو رمز للخضوع و الخشوع للرب أو للحمد و الشكر،وكسداد أو وفاء بالنذر وهناك بعض القرابين التي ذكرت أحياناً في المزامير[٢٩] .

وقرابين الدين الواجبة على الفرد هي قرابين الخطية و قرابين الإثم أو الذنب ويأتي بها ليقدمها الإنسان للتطهر من خطئه أو إثمه وذلك للتقديس من الدنس أو النجاسة و الخطيئة والإثم (الذنب) تتشابهان فيأتي المذنب بما سلبه فيصعد بمال فيقدمه عوضاً عن الشيء المسلوب الذي سلبه (بالإضافة إلى دفع غرامة كعقوبة وذبيحة ، والخطيئة لا تقدم إلا للتكفير عن خطأ أو إثم فقط (و الخطأ أو الإثم بدون قصد أي وقع عن غير عمد) وهناك فروق أيضا حسب كل مذنب أو مخطئ ، ويأتي الكاهن الممسوح بالزيت " הכהן המשיח " فيقدم ثوراً عن خطيئته بما يماثل خطيئة الجماعة ويقدم الرئيس تيساً من الماعز للتكفير عن خطيئته بحسب أنوع الخطية ، ويمكن للفقير أن يخرج بديلاً ما حليه قربان من الطير بدلاً من قربان الضان ، حيثما تنل يده كفاية فيأتي بذبيحة لإثمه الذى أخطأ به يماثلين أو قرخي حمام إلى الرب أحدهما ذبيحة خطية والآخر محرقة[٣٠] .

وقد ذكر كثيراً في العهد القديم عن ذبائح السلامة " השלמים " والتفسير الأصلي للكلمة ليس واضحاً إلا أنه بلغة المزامير الوفاء بالنذر أو سداده ويبدو أنها فسرت بلغة سداد الدين ، وذبيحة الخطيئة و الإثم أو الذنب ذكرت قبلاً . ولكن فسرت بشكل واضح في زمن أو فترة البيت الأول . وفي هوشع عند الكهنة " يأكلون خطية شعبي وإلى إثمهم يحملون نفوسهم " لأن الوصية التي استشهد بها الكهنة لأكل لحم الخطيئة أدت إلى زيادة خطايا اليهود[٣١] .

أما عن قربان المحرقة فيشار له بالتنازل عن جزء أو نصيب من الملكية لاسم الرب ، ويقدم بهذه الصورة " הקרבן " التحريم . "התרומה " ذبيحة النيرع " הקדש " التقديس وعلى هذا الأساس يُعرف تقديم قربان البكر ، وعُشر البهائم ، وقربان الفصح " פרה אדמה " ، " ثمر الأرض

، وكبش " عزازيل في يوم الغفران [٣٢] في هذا العيد (عيد الغفـــران) يقـوم الكاهن الأكبر بطقوس مقدسة تطهيرية فيغير ملابسه خمس مرات وفي كل مـــرة يقوم بغسل يديه ورجليه مرتين وبذلك يتم غسل اليدين والقدمين عشر مـــرات ثم يبدل ثيابه المزخرفة بالذهب بملابس كتانية بيضاء وهي الملابس المقدسة ليكـون في مظهر مقدس أمام الرب[٣٣] و يتشابه ذلك مع ملابس الكهنة المصريين القدماء

ثم يأخذ الكاهن الأكبر ثوراً بن بقر يدخل به إلى القدس لذبيحـــة خطيئـة وكبش للمحرقة عنه وعن بيته ، ثم يأخذ تيسين عن جماعة بني إسرائيل لذبيحـــة خطية وكبشا واحداً لمحرقة على أن يكون تقديم ثور الخطية " ذبيحـــة للتكفـير عن نفسه وعن بيته أيضاً ويكون قد أجرى القرعة على التيسين أحدهما للـــرب و الآخر للعزازيل ، ثم يأخذ الكاهن من دم الثور ودم التيس الـــذي يـراد بـه التكفير عن نجاسات بني إسرائيل ويجعل من هذا الدم على قرون المذبح مـستديراً فينضح عليه بإصبعه سبع مرات ، ويطهره ويقدسه من نجاسات بـــني إســرائيل ثم يضع الكاهن يديه على رأس التيس الحي الذى أجرى عليه القرعة و يقر عليـه بكل ذنوب بني إسرائيل ليكفر عنهم ثم يرسله بيد رجل (من يلاقيه) إلى البريـة لمواجهة مصيره المحتوم من أعلى المنحدر الصخري الشاهق ، فيقوم مـــن يقـوده بربط خيطاً حريرياً قرمزياً نصفه بالصخرة و النصف الآخر بين قرني التيـــس ثم يدفعه إلى الخلف فيسقط إلى أسفل متحطماً ، ويعود الرجل فيبلغ الكاهن الأكبر بأن التيس وصل إلى عزازيل (جهنم) وذهبت معه كل خطايا بـــني إســرائيل التى خرج محملاً بها ، عندئذ يتحول الخيط الأحمر القرمزي إلى اللون الأبيض وفقاً للمعتقد اليهودي السائد بربط الحرم المقدس بخيط أحمر ، وعند وصـــول كبـش عزازيل إلى البرية يتحول الخيط إلى اللون الأبيض ويعني ذلك غفـــران خطايـا

---

* كلمة عزازيل تفسيرها الجمارا بأنها تعنى جبال شاهقة الإرتفاع وصخرية ، ومعظـــم المفســرين الوسطين وافقوا على هذا التحديد ولكن كثير من فقهاء اليهود في العصور الوسطى المبكـرة أى = = أوائلها فسروا عزازيل بأنه عفريت أو شيطان يسكن الصحراء وموجود ذلك في كتاب" أبـــو كريفا " وبذلك يحمل الشيطان عنهم وزر هذ الخطايا التى كان هو سبباً فيها " ، وهذا نـوع مـن التطهر ذو طابع سحري ، كما ظهر عزازيل أيضا عند البابليين والوثنيـين و الأســاطير العربيـة أنظر Eugene Lipinan, p. : 115 ؛ موسكاتى ، ص ٣٣٤ .

إسرائيل [٣٤] وفقاً لما ورد بالعهد القديم " وإن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج " [٣٥] وكان هذا الطقس يمارس عند قدماء المصريين وأهل الرافدين يصور تكاد تكون منطبقة تماماً مع الطقوس اليهودية مما يدل على الاقتباس الواضح من أهل الحضارتين وقد ورد على لسان الأنبياء التأكيد على الطاعة ، و الامتثال لوصايا الرب أفضل من القربان لأن الرب لم يوصي إسرائيل على عمل القربان ، وجاء على لسان صموئيل " هل مسرة الرب بالمحرقات و الذبائح كما باستماع صوت الرب . هو ذا الاستماع أفضل من الذبيحة و بالإصغاء أفضل من شحم الكباش ، وقد ورد أيضاً قول الرب على لسان إشعياً " لماذا لي كثرة ذبائحكم . أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لي رأس الشهر و السبت ونداء المحفل لست أطيق الإثم والإعتكاف رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي ، صارت عليّ ثقلاً مللت حملها "، كما جاء على لسان عاموس " بغضت كرهت أعيادكم ولست أعتز بإعتكافاتكم . إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها " [٣٦].

ولم تكن كل هذه الأمور لإستبعاد طقس القربان بشكل عام إلا محاربة تفضيله على وصايا أخرى فقد عاد ثانية اهتمام حاخامت اليهود بالالتزام بطقس القربان في أعقاب تدمير البيت الأول . وجاء الأمر بتقديم بخور وتقدمة طاهرة لأن اسم الرب عظيماً بين الأمم ، كما تجددت مرة أخرى شعيرة القربان في البيت الثاني ثم توقفت طقوس القربان مع تخريب البيت الثاني مؤقتاً . وقد قدس الحاخامات شريعة القربان في الهالاخاه و الأجاداه كجزء من طقوس بيت المقدس . وقد رأى فيلون أن طقس القربان نفسه أن لم يواكب الأعمال الطيبة وإقامة الوصايا فلا يفوز برضا الرب وهذا أيضاً موقف بن سيراً ويرى الحاخامات أيضاً بل ويؤكدون أن الصلاة تحل محل القربان وتكفر مثل القرابين بل وأكثر منها ومعظم سنن وشرائع الصلاة تحددت ودخلت في إطار أحكام القرابين ، كما أضاف الحاخامات الصوم بديلاً أيضاً عن القربان ، كما كان هناك جدل بين الحاخامات حول فكرة رئيسية تكفر كالقربان وأكثر وهي " التوبة " المكفر

الأساسي ، ونظراً لتغير طريقة حياتهم و تغير وقت القربان وطبقاً لما قاله ربي " يوحنان " ثلاثة أنبياء صعدوا معهم من المنفى و أحد الذين شاهدوهم يقدمون تقدمة على الرغم من عدم وجود بيت وبقول ربي يهوشع : " سمعت انهم كانوا يقدمون (في أيام عزرا) على الرغم من عدم وجود بيت ، فياكلون قدس الأقداس ، وعلى الرغم من هذا التغير ارتبطوا بطريقة إيجابية لنفس فكرة القربان في بيت المقدس ، وحسبما كان واضحاً في لفائف القدس " הַמְגִלּוֹת "انهم أملوا وتمنوا أن تتحسن الأحوال بمرور الأيام ليتمكنوا من تقبيل بيت المقدس و التوجه إليه لتقديم القرابين[٣٧] .

وعندما نتناول القرابين في المشنا فقد قسمتها المشنا إلى قرابين من الحيوانات والطيور و تناولت شرعيتها وغير شرعيتها عند تقديمها فقسمت إلى سبعة أنواع:

١ –الحرقة : (من الحيوانات أو الطيور) التي تقدم كنذر ، تبرع أو منحة أو هدية أو دين أو واجبة مثل الذكية التي تقدم يومياً (العدد ٢٨ : ١ – ٨) و الإضافية في السبت و الأعياد (العدد ٢٨ : ٩) إلى آخر الإصحاح) ، (اللاويين ٥ : ٧) (نفسه أيضاً) (١٢ : ٦ – ٨) ؛ ١٤ : ١٩ – ٢٢ ؛ ١٥ : ١٥ – ٣٠ ؛ ١٦ : ٣) ؛ العدد ٦ : ١١ – ١٤ ؛ ١٥ : ٢٤) .

٢ – قربان الخطيئة : (من الحيوانات والطيور) ويقدم للتكفير عن خطأ (اللاويين ٤ : ١ – ٥ ، ١٠) مثل ثور وكبش يوم الغفران . وقربان العبادة الفردية . وقرابين رءوس الشهور والأعياد (العدد ٢٨ : ١٥ فما فوق) .

٣ – ذبيحة الإثم الذي يرتكب بسهو (اللاويين ٥ : ١٤ – ٢٦ ؛ ١٩ : ٢٠ – ٢٢ ، وتلك القرابين الثلاثة الحرقة و الخطية والإثم هي قدس أقداس من وقائد الرب وكل من مسها يتقدس (اللاويين ٦ : ١٨ – ١٩ ؛ نفسه ٧ : ١ – ٧) .

٤ – ذبائح السلامة وجميعها قرابين سلامة مقدسات وقرابين فردية (اللاويين ٢٢ : ٢١ ، نفسه –

٥ – البكر : تقديم البكور (الأبكار) (العدد ١٨ : ١٧ – ١٨) .

٦ – عُشر البهائم (الحيوانات) (اللاويين ٢٧ : ٣٢) عشر الأرض من الحبوب و الثمار الشجر هو للرب مقدس وكذلك عشر الحيوانات من البقر و الغنم قدساً للرب .

٧ – قربان الفصح : وهو مفصل في مبحث الفصح بالمشنا [٣٨].

ويحتوي باب الفصح في المشنا على عشرة فصول قسمت إلى قسمين القسم الأول

يبدأ من الفصل الأول إلى الفصل الرابع ويشمل الفصل العاشر أيضاً وتلك الفصول تتناول موضوعات الخميرة ، وكيفية التخلص منها سواء بتفتيتها وتذريتها في الرياح أو حرقها أو إلقائها في البحر كما يتحدث هذا الفصل أيضا عن الميتسا (الخبز غير المختمر) والأعشاب المرة وليلة السيدر وقد سمى القسم الأول بالفصح الأول ، أما القسم الثاني ويشمل من الفصل الخامس إلى الفصل التاسع ويختص هذا القسم بقربان الفصح وطقوسه متى يذبح وكيف يطهى ويؤكل ، وقد سمى هذا القسم بالفصح الثاني : كما شرعت المشنا أحكاماً خاصة للأشخاص الذين يُذبح عنهم الفصح [٣٩]. كما يعتبر عيد الفصح وقت أو موسم الحج إلى بيت المقدس عند اليهود وتبادل التهنئة فيما بينهم .

ولسنا بصدد الخوض في تفاصيل الاحتفال بعيد الفصح بل نهتم بما اقتبسه اليهود في بعض طقوسهم من شعوب أخرى وحيث ورد في النص التوراتي " ويأكلون اللحم تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مرة يأكلونه لا تأكلوا منه نيئاً أو طبيخا مطبوخاً بالماء بل مشوياً بالنار " [٤٠].

فقد جاء التأكيد على شي القربان بإعتباره طقس أساسي من طقوس قربان الفصح ، وكما هو معروف عند المصريين القدماء أن الشواء كان الأطعمة المحببة لديهم ، لذلك فقد احتلت القرابين المشوية مكاناً هاماً في قوائم القرابين المصرية ، وقد أظهرت مناظر التقدمات الملكية فكرة الشواء كقربان هام ، حيث صور الملك " امنحتب الثاني " يقدم قرباناً للآلهة ؛ وظهر وهو يحمل المروحة التي كانت تستخدم لشي اللحم [٤١].

ويبدو مما سبق التشابه الواضح والذي يصل أحياناً إلى حد التطابق في الطقوس الدينية بين شعوب الشرق الأدنى القديم مجتمعة و الطقوس الدينية اليهودية ويؤكد تلك الحقيقة ما توصلنا إليه في النقاط التالية : –

- التشابه بين آلهتهم حتى في بعض أسمائهم فكانت عشتار أهم إلهة عند أهل الرافدين و هو اسم أكادي (بابلي آشوري) سامي ونظيره عُشترت لدي الفينيقيين و العبريين ، وقد ارتبطت تلك الآلهة بالإله " تموز " أشهر آلهة الخصب الذي ورد ذكره بالتوراة على لسان (حزقيال ٨ : ١٤) فإنه لهو تأثير ديني بابلي على يهود فلسطين ، كما اشتهر تموز أيضاً في مصر لشبهة بالإله أوزوريس ، كما كان إيل رأس آلهة الكنعانيين ؛ وهو أيضاً اسم إله العبريين (تكوين ٣١ : ٢٩) التثنية ٢٨ : ٣٢ ؛

ميخا ٢ : ١) " وإيل " هم اسم سامي عام بمعنى إله اعتبرته كثير من الشعوب أيضاً الإله الأكبر وزوجه الإلهة " أثرت " المذكورة في التوراة أيضاً باسم " اشيراً " .

-ومما يدل على تأثير اليهود بشعوب الشرق القديم انهم عبدوا آلهة الكنعانيين بعد دخولهم كنعان فساروا وراء البعليم حيث كان بعل الأكبر إله العاصفة و البرق و المطر كما ورد بالعهد القديم أنهم تركوا جميع وصايا الرب إلههم ، وأقاموا لأنفسهم سواري على كل تل عال وتحت كل شجرة خضراء وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم ليعبدوها بدلاً من الإله (ملوك ثاني ١٧ : ٩ - ١٠ ؛ ١٦ - ٢١) وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعبّروا بنيهم وبناتهم في النار ، ويؤيد ذلك ما ورد بالقرآن الكريم " فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ " (سورة طه : ٨٨)

- ونظراً لأهمية الدين وسيادته سيادة مطلقة على كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية عند شعوب الشرق القديم فكانت تؤدى طقوس خاصة لكل مناسبة ، وكان تقديم القرابين أكثر الطقوس الدينية شيوعاً واستخداماً ، وتُقدم لأغراض مختلفة منها التكفير عن الذنوب أو إرضاء الآلهة او الإحتفال بالنصر أو الأعياد المختلفة ، وفي طقوس تقديم القرابين للآلهة نرى تشابهاً واضحاً بين تلك الشعوب بعضها البعض منها .

- تشابه طقس احتفال المصريين القدماء ببعث أوزوريس إلى الحياة ثانية مع قدوم الربيع — وطقوس اليهود عند تقديم القربان للإله " بعل " ، كما يتشابه ذلك مع طقس أهل الرافدين أيضاً في الاحتفال بعيد " عشتاروت " في الإعتدال الربيعي بممارسة طقوس من شدة حرارتها تكاد تبلغ حد الجنون فيقوم الكهنة بالرقص رقصاً عنيفاً كما كانوا يطعنون أنفسهم بالمدى و السكاكين كل ذلك على نغمات الناي ودق الطبول الممتزجة بعويل النساء على " أدونى " سيد عشتاروت الميت ، وعند حلول الليل يأتي الكهنة بنور خفي لفتح قبر الإله الشاب " أدونى " ثم يُعلن " بأنه قام من الأموات ، فيعم الفرح بين الناس .

- وقد مارس اليهود نفس الطقوس ويؤكد ذلك ما ورد بالعهد القديم (ملوك أول ١٨ : ٢٨) عندما سخر منهم إيليا النبي حين قدموا الثور الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر فلم يكن صوت و لا مجيب ،

عندئذ صرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف و الرماح حتى سال منهم الدم ، (إرميا ٣٢ : ٣٥) .

- التشابه في الملابس الكتانية التى كان يرتديها الكهنة عند القيام بالطقوس الدينية ذلك النسيج الأبيض الناصع البياض الذي كان أجود الملابس لدى المصريين القدماء كذلك في اليهودية فإن الملابس البيضاء ترمز للإنسان الذي يخرج بريئا من حكم عليه ويؤيد ذلك ما ورد بالعهد القديم على لسان " إشعيا " إن كانت خطاياهم كالقرمز تبيض كالثلج (إشعيا ١ : ١٨) ، كما ورد في موضع آخر الحث على الملابس البيضاء" لتكن ثيابك كل حين بيضاء " (الجامعة ٩ : ٨)
- الطهارة الواجبة أيضا فقد كان الكهنة المصريين القدماء يغتسلون كل فجر بالماء البارد ، ومرتين كل ليل مراعين بذلك الطقوس الدينية الكثيرة التى بلغت الآلاف المؤلفة كما قال عنها هيردوت ، كما كانوا لا يغتسلون فحسب بل ألا يلمسوا كذلك امرأةو يتشابه ذلك عند اليهود ، فقد ورد في (الخروج ١٩ : ١٤ – ١٥) عندما انحدر موسى إلى الجبل وقدس الشعب وقال لهم كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة وذلك وفقا لما أمره به الرب قبل نزوله على جبل سيناء ليبلغ موسى بالوصايا العشر التى وردت في الخروج(٢٠ : ٢– ١٥)
- التشابه أيضا في طقس عنزازيل وهو نوع من التطهير ذو طابع سحري مارسه اليهود للتكفير عن خطاياهم ، وورد ذلك في (اللاويين ١٦) كما ظهر أيضا نفس الطقس عند البابليين ، والفراعنة و الأساطير العربية ، حيث يمطرون على رأس الأضحيةوافر اللعنات التى كان مدلولها هو إن كان هناك خطب سيحل بالمضحين أنفسهمأو البلاد كليا ، فليزل على هذا الرأس (رأس الحيوان) .
- ونظرا لتأثير كل من تلك الشعوب (شعوب الشرق القديم في الآخر فقد اجتمعت على فكرة واحدة في العقيدة تتمثل في التعددية ، أي الإيمان بآلهة متعددة وهي السمة الواضحة في الدين الذي لعب دورا هاما في حياة تلك الشعوب .
- التأثر الواضح لليهود بالديانات الوثنية لتلك الشعوب ويؤيد ذلك ما ورد بنصوص العهد القديم التى أظهرت أن الإله يتغذى ويستمتع برائحة اللحم المشوي كغيره من آلهة الشعوب الوثنية (التكوين ٨ : ٢٠ – ٢١) والتى تنص فقراته على بناء نوح مذبحا للرب ليصعد محرقات من كل الحيوانات و الطيور الطاهرة فتنسم الرب رائحة الرضا ؛ وورد كذلك في (العدد ٢٨ – ١ – ٢ ، ١٠) .
- أظهرت النصوص أيضا أمر الرب بكيفية القضاء على المدن وتحريمها وذلك بحرقها وقتل أهلها شيوخا وأطفالا ونساءا وعلى ما يبدو فقد كانت فكرة تحريم المدن موجودة عند الموآبيين ،وربما كانت هذه صورة من صور القرابين البشرية التى تقدم للآلهة .

المراجع

١- مصر القديمة :

(١)أدولف إرمان ، هرمان رانكة ، مصر و الحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة وراجعة الدكتور / عبد المنعم أبو بكر ، محرم كمال ، صـ ٢٩٤ – ٢٩٥ .

(٢) أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها في أربعة آلاف سنة ، ترجمة وراجعه د.عبد المنعم أبو بكر، د.محمد أنور شكرى (د .ت) ،صـ ٢٣٩ – ٢٤٢.

(٣) ياروسلاف تشرني ، الديانة المصرية القديمة ، ترجمة د. أحمد قدري ، مراجعة د. محمود ماهر طه ، مطبعة هيئة الآثار ، رقم إيداع دولي ١٥٨٥ – ٩٧٧ ، ١٩٨٧ ، صـ ١٤٥ – ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، صـ ١٤٦ – ١٤٧ .

(٥) عصر الدولة الحديثة (١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق . م) ويسمى أيضا عصر الإمبراطورية المصرية ويبدأ من الأسرة ١٨ إلى الأسرة ٢٠ وبدأ ملوك تلك الفترة في الغزوات والسيطرة في شمال سوريا العليا وأطراف العراق وما ترتب عليه من تكوين الإمبراطورية المصرية ، وازدياد الثراء وأثره على مظاهر الحضارة في الداخل ، د. رمضان السيد ، تاريخ مصر القديمة (منذ أقدم العصور حتى سنة ٣٣٢ ق . م) ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، الجيزة ١٩٩١ م ، ص ١٦١ .

(٦) أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩ .

(٧) المرجع السابق نفسه ص ٢١٤ – ٢١٥ .

(٨) كان يقوم بفحص الحيوانات كاهنا معنيا لهذا العمل يفحصه واقفا وراقدا ، ثم يسحب لسانه ليرى إذا ما كان نقيا من علامات خاصة ، وينظر كذلك في شعر الذيل ليرى أن نبته طبيعي ، وإذا رأى الكاهن شعرة واحدة سوداء في جسد الثور عد نجسا ، وإذا كان الثور طاهرا من كل الوجوه يضع عليه " علامة " بأن يلف حول قرنيه قطعة من البردي وبعد أن يلصقها بصلصال لزج يضع عليها خاتمه وبهذه الكيفية أصبح الحيوان موسوما وصالح للأضحية – أنظر هيرودت يتحدث عن مصر ، ترجم الأحاديث الإغريقية المرحوم أ . د صقر خفاجة وتولى شرحها في ضوء ما عرف عن تاريخ الحياة المصرية د. أحمد بدوي ، دار القلم ، ١٩٦٦ ، صـ ١٢٨ ، ١٢٩ ، وقد ورد أن من يضحى بثور غير موسوم بهذه الكيفية فالعقوبة على ذلك وقد ورد أن من يضحى بثور غير موسوم بهذه الكيفية على ذلك الموت .

(٩) المرجع السابق ، هيرودوت يتحدث عن مصر صـ ١٢٧ ، ١٣١ وكذلك جعل المصري من " حتحور " إلهة للحب وصورت على شكل بقرة ، كما يقول المصريون عين الشمس التي تحملها هذه الإلهة بين قرنيها ،فسميت على هذا الأساس بعين الشمس وأصبحت هذه التسمية من ألقابها المشهورة وأصبحت الإلهة الطروب عند النساء وسمتها بالذهب وهذا هو الذي يجعلنا نفهم السبب الذي من أجله سماها الإغريق في العصور المتأخرة بالإلهة " أفروديت " ، وقام النساء على خدمتها وأحيوا حفلاتها بالرقص و الغناء والموسيقى ، كما صورت " حتحور " على أنها إلهة حرب ، ويرجع ذلك إلى تسميتها بعين الشمس التي تحارب أعداء الإله " رع " (انظر أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، صـ ٣٦ – ٣٧ .

(١٠) انظر أدولف إرمان ، وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة،ص ٣٢٠

(١١) هيرودوت يتحدث عن مصر ، صـ ١٣١ ، ١٦٣ – ١٦٤ ؛ أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، صـ ٣٧٤ ، ٣٧٥ . ؛ أدولف إرمان ، وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، صـ ٣٠١ .

(١٢) المرجع السابق ، ادولف إرمان ، مصر والحياة المصرية صـ ٣٠٠ .

(١٣) هيرودوت يتحدث عن مصر،ص ١٣٠؛ أدولف إرمان،ديانة مصر القديمة ، ص ٣٧٥

(١٤) المرجع السابق هامش صـ ١٣٤ – ١٣٧ ؛ أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة صـ ٣٧٤ ؛ روبرتس بيبث ، ديانة الساميين ، ترجمة د. عبد الوهاب علوب ، مراجعة وتقديم د. محمد خليفة حسن ، مطابع الأهرام بكورنيش النيل رقم إيداع ٧٢٥٤ / ٩٧ ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

(١٥) أدولف إرمان ـ، ديانة مصر القديمة ، صـ٢٣٩ – ٢٤٢ ، ٣٧٦ – ٣٧٧.

(١٦) المرجع السابق ، صـ ١٩٨ .

(١٧) انظر باسم محمد سيد ، النار في الحضارة المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة ، بحث لنيل درجة الماجستير إشراف أ . د محمد عبد الحليم نور الدين ، قسم الآثار المصرية بكلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٩٩ ، صـ ١٢٧ .

(١٨) أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، صـ ٢٠٩ ، ٣١٣ .

(١٩) أدولف إرمان ، هرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، صـ ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢٠) ادولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، صـ ٤٨٢ ، ٤٨٣ .

(٢١) المرجع السابق ، صـ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٤٢٨ ؛ باروسلاف تشرني ، الديانة المصرية القديمة ، صـ ١٤٦ – ١٤٨ .

(٢٢) أدولف إرمان ، ديانة مصر القديمة ، صـ ٣٧٤ .

٢- أرض الرافدين :

(١) ستينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة : ترجمة د. السيد يعقوب بكر . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ ، صـ ٧٤ – ٧٦ .

(٢) حزقيال ٨ : ١٤ ؛ האנציק העברית , כרך 17 , עמ' 120.

(٣) هيرودوت يتحدث عن مصر ، صـ ١٦٣ ، ١٦٤ ؛ أدولف إرمان مصر والحياة المصرية ، صـ ٣٠٠ ، ٣٠١ ، أدولف أرمان ؛ ديانة مصر القديمة ٣٧٤.

(٤) ستينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، صـ ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ .

(٥) المرجع السابق ، صـ ٧٦ ، ٢٦٠ .

(٦) المرجع السابق ، صـ ٧٦ – ٧٨ .

(٧) المرجع السابق ستينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة:ص ٧٨ – ٨٠ ، ٢٦٧

(٨) المرجع السابق ، صـ ٨٠ – ٨١ .

٣- كنعان :

(١)ستيبنو موسكاتي ، الحضارات السامية ، صـ ١٢٦ – ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق صـ ١٢٨ .

(٣) روبرتسن سميث ، ديانة الساميين ، صـ ٩٨ .

(٤)المرجع السابق ، صـ ٣٩ – ٤٠ .

(٥) ستيبنو موسكاتي ، صـ ١٢٨ .

(٦) الخروج ٢٤ : ٤ يشوع ٤ : ٢٠ وقد ذكر عن الأحجار المقدسة في سفر القضاه و ٣ / ١٩ ، ٢٦ ؛ سفر الملوك الأول ١٨ عن البعل و البعليم وأنبياء البعل وأنبياء السواري ، الملوك الثاني ١٧ : ١٦ .

(٧) بروتسن سميث ، ديانة الساميين ، صـ ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٨) ستيبنو موسكاتي ، صـ ١٢٨ و ٢٧٣ .

(٩) فوزي رشيد ، ونخبة من الباحثين العراقيين حضارة العراق ، جـ١ ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ ، صـ ٢١١ . ؛ علي عبد الواحد فاضل ونخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق في الفصل السادس الأعياد و الاحتفالات ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٥ ، صـ ٢١٩ .

(١٠) ستيبنو موسكاتي ، الحضارات السامية ، صـ ١٢٩ .

(١١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(١٢) سفر الملوك الأول ، ١٨ – ١٩ ؛ ملوك ناني ١٧ : ١٥ ، ١٦

٤- : العبريون :

(١) التكوين ١٤ : ١٣ ، ١٠ : ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) التكوين ٣٩ : ١٤ ، ١٨ ، ٤١ ، ١٢

(٣) الخروج ٢١ : ٢ ؛ د . حسن ظاظا ، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ، ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ ، صـ ٢٠ .

(٤) التكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣١ ؛ أ . د محمد خليفة حسن أحمد ؛ تاريخ الديانة اليهودية ، القاهرة ١٩٩٦ م ، صـ ٢٢ .

(٥) سورة البقرة آية ١٣٦ : سورة آل عمران آية ٨٤ .

(٦) التكوين ١٧ : ٢ - ٨ .

(٧) التكوين ١٧ : ٩ - ١٤ .

(٨) سفر الخروج ٣ : ١٤ .

(٩) سبتينو بوسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، صـ ١٤٨ - ١٤٩ .

(١٠) التكوين ٣١ : ٢٩ ؛ التثنية ٢٨ : ٣٢ ، ميخا ٢ : ١ .

(١١) التكوين ١٧ : ١ ، ٢٨ : ٣ ، ٣٥ : ١١ ، ٤٣ : ١٤ ، ٤٨ : ٣ ، ٤٩ : ٢٥ ؛ الخروج ٦ : ٣ العدد ٢٤: ٤ .

(١٢) التكوين ٢٣ : ٦ ؛ التثنية ٣٢ : ١٥ ؛ ١٧ .

(١٣) د . محمد بحر عبد المجيد ؛ الديانة اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، صـ ٩ .

(١٤) الخروج ٣ : ١١ - ١٥ .

(١٥) سبتينو موسكاتي . صـ ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(١٦) الخروج ١٣ : ٢٠ - ٢١ .

(١٧) الخروج ١٤ : ١٤ ، ١٥ : ٣ - ٤ .

(١٨) العدد ٣١ : ٢ - ٣ ؛ صموئيل الأول ١٥ : ٢ - ٣ .

(١٩) التثنية ١٣ : ١٥ - ١٧ .

(٢٠) د . محمد بحر عبد المجيد ، الديانة اليهودية ، صـ ١٥ .

(٢١) العدد ٢٨ : ١ - ٢ ، ١٠ .

(٢٢) التكوين ٨ : ٢٠ - ٢١ .

(٢٣) التثنية ٥ : ٧ - ٩ .

(٢٤) الخروج ٣ : ٢١– ٢٢ .

(٢٥) האנציק העברית כללית וארצישראלית , כרך30, חברה להוצאת אנציקלופודיות בע"מ ,תלאביב, תשל"ח , עמ "59. 58,

(٢٦) المرجع السابق ، صـ ٦٠ ، ٦١ : التكوين ٨ : ٢٠ – ٢١ .

(٢٧) المرجع السابق ، صـ ٦١ .

(٢٨) صموئيل الأول ٧ : ٦ ؛ ملوك أول ١٨ : ٣٤ .

(٢٩) האנציק העברית , כרך ו 30 עמ" 62 . ؛ اللاويين ٢٣.

(٣٠) اللاوين ٥ : ٥ – ١٠ .

(٣١) هوشع ٤ : ٨ האנציק העברית , כרך ו 30 עמ" 62.

(٣٢) האנציק העברית , כרך ו 30 עמ" 62 .

(٣٣) اللاويـــن ١٦ – ٢ : ٤ האנציק העברית כללית וארצישראלית , כרך 19. חברה להוצאת אנציקלופודיות בע"מ , ירושלים , תשכ"ח , עמ" 90.

(34) Eugen Lipnan , the Mishnah rol teachings of judaissm Schochken Looks , New York copy right (c) 1970 , p 117 .

(٣٥) إشعيا ١ : ١٨ .

(٣٦) صـــــــموائيل الأول ١٥ : ٢٢ ، إشـــــــعيا ١١ : ١١ – ١٤ ؛ عاموس ٥ : ٢١ – ٢٥ .

(٣٧) האנציק העברית , כרך ו 30 עמ"64,63

(٣٨) חנוך אלבק , ששה סדרי משנה , הוצאת מוסד ביאלק , ירושלים ,תלאביב תשט"ז, עמ"8,7.

(٣٩) חנוך אלבק , משנה , סדר מועד, עמ" 141,140.

(٤٠) الخروج ١٢ : ٨ – ١٠ .

(٤١) باســم محمــد ســيد ؛ الــنار في الحضــارة المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديــثة ، بحــث لنــيل درجــة الماجســتير أ . د محمــد عــبد الحليم نور الدين ، قسم الآثار المصرية بكلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٩٩ ، صـــ ١٢٧ .